جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كليّة الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكّرة:

الهامش و تجليّاته في مقامات بديع الزّمان الهمذاني.

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

تخصّص: أدب عربي قديم.

إعداد الطالبة:

1–مباركي نوال.

2–مريخي نورة.

إشراف الأستاذ:

- بن علي لونيس.

السّنة الجامعية: 2018/2017.

بسم الله الرحمان الرحيم

إهداء

الحمد للّه الذي أنعم علي بتوفيقه، وأمدّني بالعون لإكمال مشروع البحث.

أما بعد:

أقدّم هذا العمل المتواضع عربون احترام و تقدير إلى من أشرف على توجيهي، ولم يبخل عليّ بنصائحه القيّمة التي كانت بمثابة عونٍ لي في إتمام هذا البحث أستاذي المشرف "بن علي لونيس".

كما أهدي ثمرة نجاحي إلى من رمتني الأقدار في أحضانها، إلى من غمرتني بحبّها و حنانها، إلى من ربّتني صغيرة، إلى من أتمنى أن أنال رضاها و أنا كبيرة، إلى من التي كان دعائها سرّ نجاحي "أمي الغالية"، و إلى من ربّاني على التّقوى و الفضيلة، إلى الذي تعلّمت على يده الصّدق و الإخلاص و الصّبر و الطّموح "أبي الغالي" حفظه اللّه، إلى أخواتي اللّواتي تقاسمت معهنّ الأيّام بحلوها و مرّها، و إلى من تقاسمت معها عناء هذا العمل حقّق اللّه أمانيك، و إلى جميع الأصدقاء و الصّديقات طبعا، و أخصّ بالذّكر كلّ مخلص ساهم في بناء هذه الأمّة الأثيرة طبعا.

شكرا على صبركم و تفهّمكم.

نوال

إهداء

الحمد لله الذي أنعم علي و أعانني، و الشّكر له كلّ الشكر و الامتنان يعجز عن وصفه القلم و اللسان و بعد إعانة منه لاستكمال هذا العمل، أهدي هذا العمل المتواضع إلى الأستاذ المشرف " بن علي لونيس" الذي لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته.

أهدي ثمرة جهدي.

إلى الوالدين العزيزين بدءا، إلى إخوتي و أخواتي دوما، إلى زميلتي التي تقاسمت معها عناء هذا العمل حقق الله أمانيك ، إلى كل الأقارب دون استثناء طبعا، إلى جميع الأصدقاء و الصديقات قطعا، إلى الذين وقفوا إلى جانب منذ بداية البحث،

نورة.

كلمة شكر

الفضل و الشكر و الحمد لله من قبل و من بعد .

ونتقدم بشكرنا الجميل للأستاذ المشرف " بن علي لونيس " على صبره و تفانيه في تأدية واجبه العلمي بإرشادنا و توجيهنا و مرافقتنا على طول هذا العمل شكرا على الدعم و النصيحة.

مقدمة

ظهرت في العصر العباسي أشكال أدبية اعتبرها فنا جديدا ففسح لها مجالا واسعا جعلها ترتبط ارتباطا وثيقا بالتراث العربي القديم خلال القرن الرابع هجري، و هذا ما جعلها تُثبت تمايزها كجنس أدبي و كفن مستقل بذاته، هذا النوع الفني عُرف بالمقامة، وهو شكل قصصي اشتهر به كاتب معروف يُلقب ببديع الزمان الهمذاني، فقد اتّخذ هذا النوع الأدبي كوسيلة طرح من خلالها بعض القضايا الاجتماعية في قصص قصيرة، اتّخذ لها راويا واحدا سماه عيسى بن هشام، و بطلا واحدا سماه أبو الفتح الاسكندري.

هذا يعني أنّ النثر العباسي قد شهد تغيرات كثيرة تجلّت في مختلف الأساليب و الفنون، و خلّفت نتاجات أدبية فبرزت الحركة الأدبية في العصر العباسي، هذا العصر الذي كثرت فيه المشاكل و الفتن و القضايا الاجتماعية، وعليه ظهر في القرن الرابع هجري نوع نثري هو المقامات على يد عالم معروف هو بديع الزمان الهمذاني.

تعتبر المقامة فنا من فنون الأدب العربي و شكلا قصصيا ، اتّخذه الهمذاني كوسيلة طرح من خلالها القضايا الاجتماعية التي كانت تسود في العصر العباسي، فأبدع في ألفاظها و أساليبها، و كان من بين أغراضها تعليم الناشئة اللّغة و البيان؛ لأنّ البديع كان يرغب أن يتعلّم تلاميذه أساليب اللّغة العربية و حسن صياغة الألفاظ بدقة بعيدا عن الأخطاء اللّغوية .

إنّ الهدف الأساسي لاختيارنا لهذا الموضوع، هو الرغبة في التعرّف على النوع النثري الذي ذاع صيته في تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي خلال القرن الرابع هجري.

ولعلّ الدافع من وراء هذه الدراسة هو غياب دراسة أكاديمية تُعالج هذا النوع الفني، الذي يتناول في جوهره قضايا مسكوت عنها في مجتمع تسوده قضايا اجتماعية، أين أصبح الإنسان مهمّشا و منبوذا من قِبل المركز الذي يُعدّ مهيمنا استعماريا، يُهمّش كلّ فرد يُعارض ثقافته، لذلك اختار هذا الأخير– الفرد– أن يُكوّن لنفسه ثقافة مضادة تُعاكس كل ما يُسلّطه هذا المهيمن عليه، لذلك اخترنا المقامة لكونها تعالج موضوع الهامشي بوصفه فردا منسيا، و مستبعدا من قبل مجتمع لا

يعترف به، وتجدر الإشارة إلى أنّه على حسب علمنا و بحثنا لم نلتق ببحوث اهتمت بدراسة الهامش و الهامشي .

ومن هذا المنطلق يتوجب علينا الإشارة إلى الدراسات التي اهتمت بفن المقامة نذكر من بينها: النثر الفني خلال القرن الرابع لزكي مبارك، دراسات في النثر العباسي لحسام محمد علم، نشأة المقامة في الأدب العربي لحسن عباس، الحياة الأدبية في العصر العباسي لمحمد خفاجى.

يهدف هذا البحث إلى تحقيق بعض الأهداف من بينها:

التعرف على النوع الفني القصصي الذي كان معروفا في العصر العباسي.

التوصّل إلى معرفة أهم رائد لهذا النوع النثري، و كل ما يحمله في طياته من سمات.

معرفة تاريخ هذا النوع الفني.

تبيان أهم القضايا الاجتماعية في العصر العباسي.

فهم موضوع الهامش و الهامشي و التوصل إلى فهم تجليات الهامش في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

القدرة على التمييز بين المركز الذي يعد مهيمنا استعماريا، و بين الهامشي الفرد الضّعيف المستبعد من طرف المجتمع.

أما عن إشكاليتنا المركزية فتتمثّل في السؤال التالي:

-ما هي تجلّيات الهامش الاجتماعي في مقامات الهمذاني؟ و كيف مثّلت المقامات أشكال الهامش في المجتمع العباسي؟

وقد مكنتنا هذه التساؤلات من تحديد مسار بحثنا هذا، و الذي حاولنا أن نقسّمه إلى فصلين سُبقا بمقدمة و خُتما بنتائج.

الفصل الأول: عنونّاه ب "فن المقامة: المفهوم و التاريخ" كان تمهيدا للدّخول في جوهر الموضوع، و قد قسّمنا هذا الفصل إلى ثلاث مباحث.

في المبحث الأول: قُمنا بالإحاطة بمفهوم المقامة و تاريخها كفن أدبي نشأ في العصر العباسي.

أما في المبحث الثاني: فتناولنا فيه " مفهوم الحكي و آلياته" درسنا فيه مفهوم الحكي، و الصوت السردي، و ذلك كون أنّ الهمذاني اعتمد على الحكي و السرد في مقاماته.

أما المبحث الثالث عنوناه ب " في مفهوم الهامش" درسنا فيه جدل المركز و الهامش، مفهوم الهامش لغة و اصطلاحا، الهامش كمصطلح أدبي، الكتابة الهامشية، أنواع الهامش، لغة الهامش و الكتابة الهامشية.

أما الفصل الثاني فهو الجانب التطبيقي الذي عنونّاه ب "موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش"، و قسمناه إلى مبحثين.

المبحث الأول: ركّزنا فيه على تحليل بعض مقاماته، نذكر من بينها المقامة البغدادية، الكوفية، الجُرجانية، و المقامة الوصية، و قد جاءت هذه النماذج لتُوضّح تجليات الهامش في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

المبحث الثاني درسنا المقامة بوصفها فن هامشي.

و في الأخير نجد خاتمة حيث تضمّنت أهم النتائج التي توصّلنا إليها، و استخلصناها من بحثنا، وملحق فيه مقامات بديع الزمان حتى يطّلع عليها القارئ.

لقد اعتمدنا في تِبيان تجليات الهامش في مقامات بديع الزمان الهمذاني، على التحليل البنيوي قصد تقريب صورة الهامشي، و فهم موضوع الهامش و تجلياته في مقامات البديع إلى القارئ.

لقد مهّد لنا الطريق في إنجاز هذا البحث بعض المراجع التي استفدنا منها نذكر على سبيل المثال:

-"المقامة" لشوقي ضيف، " النثر الفني في القرن الرابع" لزكي مبارك، " تاريخ الأدب العربي القديم" لحنا الفاخوري، " مقامات بديع الزمان الهمذاني" لمحمد محمود الرافعي، " أسس النقد عند العرب" لأحمد أحمد بدوي، " الأدب المقارن" لطه ندى...الخ، كما اعتمدنا على كتاب " الهامش الاجتماعي في الأدب" لهويدا صالح، و كتاب " مهمشون في التاريخ الإسلامي" لمحمود إسماعيل من ناحية الجانب التطبيقي.

و لقد واجهتنا صعوبات في إنجاز هذا البحث، و التي تتمثل في خُلو الجامعة من الكتب التي تخدم موضوعنا، الصعوبة في التعامل مع الموضوع، و ذلك راجع إلى

قلة الدراسات و الكتب التي تهتم بدراسة الهامش، و مما زاد من حدّة الصعوبة انعدام بعض المراجع الأساسية فيما يتعلّق بدراسة تجليات الهامش في المقامة.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أعاننا في إنجاز هذا البحث سواء من بعيد أو من قريب، خاصة الأستاذ المشرف " بن علي لونيس" الذي شجّعنا منذ البداية على خوض غمار هذا البحث رغم صعوبته، و كذلك نشكره على سعة صبره معنا و توجيهه لنا، و نرفع له كل آيات التقدير و جميل العرفان و نتمنى أن نكون قد وفينا لتوجيهاته و نصائحه، و للمعرفة التي أمدّنا بها، و نرجو أن نكون قد وفينا إلى حد ما في معالجة الموضوع بشكل منهجي صحيح.

الفصل الأول

فن المقامة: المفهوم و التّاريخ.

« وقد هَبَّتْ بِي إلَيْكُم ريحُالاحتياج. و نَسيمُ الإلْفَاجِ.

فَانْظُرُوا رَحمَكُمْ الله لِنَقْضٍ من الأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ.

هَدَّتْهُ الحَاجَةُ. و كَدَّتهُ الفَاقَةُ».

محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص35.

تمهيد:

لقد نشأ في العصر العباسي خلال القرن الرابع هجري فنّا قصصيا يُطلق عليه مصطلح "المقامة"، و كان من بين روادها كاتب مشهور يُلقّب ببديع الزمان الهمذاني•[1]، الذي اتّخذ هذا النوع القصصي وسيلة طرح في جوهرها قضايا اجتماعية مختلفة من خلال مجتمعه، فأعطى لقصصه هذه بطلا اسمه أبو الفتح الإسكندري، و راويا يُدعى عيسى بن هشام.

إنّ المقامة كفن من الفنون الأدبية تُعدّ جنسا أدبيا تناولت مواضيع مسكوت عنها في المجتمع و عن تجلّيات الهامش و صورة المهمشين، و اتّخذت من الهامشي موضوعا لها هذا الأخير الذي وقف على هامش المجتمع متمرّدا ضدّ سلطة المركز، و معارضا للثّقافة الرّسمية مسايرا لثقافته الهامشية المضادة، هذا المُستبعد الذي أصبح منسيا و غير مرغوب

---

[1]•بديع الزمان الهمذاني : عَلَم لا يُنكر في تاريخ الأدب العربي ينتمي لأسرة عربية كريمة ، هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيدالهمذاني ، وُلد في 13 من جمادى الثانية سنة 358هـ – 969م في همذان. درس على يد معلمه أبا الحسين أحمد بن فارس اللّغوي المشهور، وعندما بلغ الثانية و العشرين من عمره ترك موطنه قاصدا الصاحب ابن عبّاد ، فبقي عنده زمنا يتزوّد من علمه ثم قدم إلى جُرجان و أقام فيها مدّة لاكن المقام لم يطب له فيها طويلا ، وفي طريقه إلى نيسابور سنة 382هـ و هناك أملى مقاماته المشهورة ، و فجأة نشبت بينه و بين أبي بكر الخوارزمي معركة أدبية انتهى بهما الأمر بالمناظرة ، فقد كان في نيسابور من يكره الخوارزمي، فأعانوا البديع عليه و جمعاهما للمناظرة ، فقد كانت معركة أدبية حاسمة خرج منها البديع منتصرا فلقاه الناس بالتعظيم و التبجير ، أما الخوارزمي فعاد إلى منزله منهزما بقي فيه إلى أن مات، و بوفاته فسح المجال لبديع الزمان فأصبح إمام الأدب إلى أن توفي هراة سنة 398هـ و كان عمره يبلغ الأربعين.

كان الهمذاني في حياته سريع الحفظ واسع المعرفة فصيح اللسان، رجل طمع يتوسّل بكل الوسائل حتى يبلغ هدفه ، و رغم أنّه كان خفيف الروح حسن الخلق، إلا أنّه كان يتّسم بالأنانية و الغضب و الغرور، و كان يُظهر مرارة لسان شديدة لمن ينقم عنه، و كان يتعالى بقدرته على السخرية و التهكّم.

هذا كله لم يُؤثّر على مكانته و شأنه كونه من بين من عالج اللفظة العربية، وأنّه بلغ القمة و المرتبة التي يستحيل لغيره بُلوغها، فقد إعتبره الكثير من مؤرخي الأدب أنّه هو الرائد الأول في إنشاء فن المقامات، إذ له الفضل في وضع أسس هذا النوع الفني، فقد صوّر بكل صدق و بكل روح أدبية جوانب الحياة ، و قضايا المجتمع العباسي.

•–كارل بروكلمان، نقله عبد الحليم النجار، تاريخ الأدب العربي، ط4، جز2، دار المعارف، القاهرة، دت ، ص112.

–حسن عباس، نشأة المقامة في العصر العباسي،دط ، دار المعارف، ص54.

–حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط1، دار الجيل، بيروت– لبنان ، 1968م، ص625.

به ينتمي إلى مجتمع دنيء، فضّل أن يعيش على هامش المدينة مصوّرا ثقافته و رؤيته بطريقته الخاصة، فأصبح مُحتقرا من قبل المركز و منبوذا من طرف المجتمع، كلّ هذا لخّصه الهمذاني في فنّ المقامة.

جاءت مقامات بديع الزمان خلاصة و صورة لمجتمع تسود فيه قضايا اجتماعية مسكوت عنها، فكان من بين غاياتها فضح سلطة المركز و إظهار ما كان خلف الجدران.

طرحت المقامة إلى جانب القضايا الاجتماعية موضوعا آخر هو الهامش الذي ارتبط بالمهمشين، و بخطاباتهم انطلاقا من اللّغة التي من خلالها استطاع الهامشي بوصفه فردا منسيا من قِبل المركز، أن يُعبّر عن المخفي بطابع من السّخرية و التهكّم الجارح، في ظلّ سلطة المركز الذي يُعدّ مهيمنا اجتماعيا، وبناءا على هذا سيتّضح أنّه لا وجود لهامشي دون أن يكون هناك مركز يقوم بتهميشه، وهذا سيؤدي إلى فكرة التمييز بين المركز و الهامش، كلّ هذا طرحه البديع في مقاماته.

هذا الفصل يُجيب عن الإشكالية التالية: ما مفهوم المقامة؟ و كيف صوّر الهمذاني صورة الهامشي في المقامة؟ و ما هي وضعية هؤلاء المهمشين في المجتمع مقارنة بالمركز؟.

للإجابة عن كلّ هذه التساؤلات ارتأينا في هذا الفصل نقاط عدة، في المبحث الأول درسنا مفهوم المقامة و تاريخها.

في المبحث الثاني درسنا الحكي و آلياته، و ذلك لأنّ الهمذاني في مقاماته اعتمد على أسلوب الحكي في رصده لقضايا المجتمع العباسي، أما في المبحث الثالث تحدّثنا فيه عن مفهوم الهامش ، جدل المركز و الهامش، الكتابة الهامشية.

المبحث الأول

تعريف المقامة و تاريخها.

«و الوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالحينَ.و الأَكلُ على الجُوعِوَاقية الفَوْتِ. و على الشّبع دَاعيَةُ المَوْتِ. ثُمّ كُنْ مَعَ النّاسكَلَاعبِ الشِطرَنْجِ خُذ كُلَّ مَا مَعَهُم و احْفَظْ كلّ مَا مَعَكَ».

محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص158.

تمهيد:

يعد فن المقامة من أهمّ فنون الأدب العربي كنوع أدبيله صلة بالقصة، له خصائصه التي تميّزه عن غيره من الأنواع الأدبية الأخرى، سواء من حيث شكلها، أو من حيث مضمونها، ومن جهة أخرى من حيث غايتها، أو من بين أهدافها الذي ارتبطت به،وهي تعليم النّاشئة كيفية صياغة ألفاظ لغوية سليمة منمّقة بزخارف السّجع و ألوان البديع و البيان.

وللتّعمّق أكثر في أصول المقامة و نشأتها لابدّ من البحث في مفهومها، وتحديد خصائصها، و الحديث عن معناها اللّغوي و أبعادها الدّلالية.

1/مفهوم المقامة:

1-1- لغةً:

ورد في لسان العرب لابن منظور أنّ:« و المَقامة:بالفتح:المجلس و الجماعة من النّاس،قال:وأمّا المَقامُ و المُقامُ فقد يكون كلّ واحد منهما بمعنى الإقامة،وقد يكون بمعنى موضع القيام، لأنّك إذا جعلته من قَام يقوم فمفتوح،و إن جعلته من أَقام يُقيم فمضموم، فإنّ الفعل إذا جاوز الثّلاثة فالموضع مضموم الميم، لأنّه مشبّه ببنات الأربعة نحو دحرج و هذا مُدحرجنا. وقوله تعالى:«لَا مَقَامَ لَكُمْ»؛ أي لا موضع لكم، و قُرئ لا مُقام لكم، بالضّم، أي لا إقامة لكم.و حَسُنت مستقِرًا و مُقامًا»،أي موضعا؛و قول لبيد:

عفت الديّارُ محلُّها فمُقامُها بمنى،تأبّدَ غَولُها فَرجَامُهَا.

يعني الإقامة، وقوله عزّ و جلّ: «كَمْ تَرَكُوا من جَنَّات عَدْن و عُيُون و زُرُوع وَ مَقام كَرِيم»، قيل : المَقامُ الكريم هو المنبر، وقيل : المنزلة الحسنة»[1].

بمعنى أن المقام يمثل شيئين:

1-ابن منظور ، معجم لسان العرب ، تح عامر أحمد حيدر ، راجعه عبد المنعم إبراهيم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، جزء 12 ، 1424هـ، 2003م ، ص 587.

ويقصد هنا أنّه، إذا تأمّلنا لفظة المَقام و المَقامة بالفتح في المعاجم اللّغوية العربيّة؛ تعني اسم مكان المجلس و الجماعة من النّاس،و المَقام و المُقام يعني الإقامة، و قد يدلّ على موضع القيّام ومَقام و مَقامة بمعنى مكان و مكانة،أو موضعا.

أمّا عند شعراء الجاهليّة،مَقام تعني الإقامة.أمّا في قوله عزّ و جلّ كما أشار ابن منظور، فالمقام الكريم هو المنبر الذي يدلّ على المنزلة الحسنة.

أمّا في المعجم الوسيط نجد أنّ:«(المَقامَةُ): الجماعة من النّاس.و –المجلس.و – الخُطبة أو العظة أو نحوهما.و – قصّة قصيرة مسجوعة ، تشمل على عظة أو ملحة ، كان الأدباء يُظهرون فيها براعتهم. (المُقامُ):الإقامة. و –موضع القيام. المُقامةُ: المُقامُ»[1].

ويقصد به هنا أنّ المقامة هي جماعة من النّاس، أو هي إمّاّ خطبة أو عظة التي هي أيضا قصّة قصيرة منمّقة بالسّجع، فيها مجموعة من العظات من خلالها يقوم الأدباء بإظهار قدراتهم، و براعاتهم اللّغويّة.

فالمقامة إذن، هي المجلس حيث يقوم شخص و يتحدّث إلى النّاس واعظا، ثمّ انتقلت اللّفظة إلى أن أصبحت بعد ذلك تعني المحاضرة. وبهذا تصبح المَقامة تدلّ على حديث شخص في مجلس إمّا يكون واقفا، أو جالسا.

1-2/اصطلاحاً:

ظهر عند العرب،خلال القرن الرّابع هجري نوع فنيّ نثريّ قصصيعُرف بالمقامة، وهوفن قصصي حكائي يصوّر فيه الكاتب حالات اجتماعية، وقضايا سياسية بلغة عذبة سليمة، وبطابع أدبي بليغوخلاّب، فيبرزون في مضمونها أفكارهم الفلسفية،و يصفون فيها أحاسيسهم، و عواطفهم، كما يبرزون من خلالها صورا، و مشاهدا من حياتهم المعيشيّة و قضاياها بلمحة من لمحات السّخريّة ،و الدّعابة،و المجون، فيصوغونها في شكل قصص قصيرة فيبدعون في بنائها و تركيبها بلغةفصيحة، و أسلوب جذّاب يسلب عقولو قلوب السّامعين، حيث قال زكي مبارك في كتابه النّثر الفنّي في القرن الرّابع:« وأظهر أنواع

[1]– مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدّولية ، مصر ، ط4، 1425هـ ، 2004م ، ص768.

الأقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات، و هي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبيّة،أو فلسفية،أو خطرة وجدانيّة، أو لمحة من لمحات الدّعابة و المجون. وكان المعروف أنّ بديع الزّمان الهمذاني هو أوّل من أنشأ فن المقامات»[1].

هذا يعني أنّ بديع الزّمان الهمذاني هو أوّل من مهّد الطّريق لظهور هذا الفن، وشيوعه فاعتبره مؤرخو الأدب العربي رائدا لها.

إلى جانب تعريف زكي مبارك، أورد شوقي ضيف في كتابه "المقامة" تعريفا آخر لفنّ المقامة، حيث قال:«ليست المقامة إذن قصّة و إنّما هي حديث أدبي بليغ، و هي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصّة، فليس فيها من القصّة إلاّ ظاهر فقط،أمّا هي في حقيقتها فحيلة يطرفنا بها بديع الزّمان و غيره لنطّلع من جهة على حادثة معيّنة،ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة.بل إنّ الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمّية لها،إذ ليست هي الغاية،إنّما الغاية التّعليم و الأسلوب الذي تعرض به الحادثة.ومن هنا جاءت غلبة اللّفظ على المعنى في المقامة، فالمعنى ليس شيئا مذكورا، إنّما هو خيط ضئيل تنشر عليه الغاية التّعليمية»[2].

و يقصد شوقي ضيف من خلال قوله أنّ فنّ المقامة ليس بقصّة بل هي حديث بليغ لها علاقة بالحيلة، فهي في حقيقتها عبارة عن حيل صاغها الهمذاني في عبارات موجزة، و قصيرة في طابع فنّي قصصي يصف من خلالها نماذج كثيرة انطلاقا من الحياة اليوميّة لمجتمعه، أو لعصره وذلك للإطّلاع على الحادثة من جهة، ومن جهة أخرى على أساليبها، فالحادثة التي يتعرّض لها البطل خلال مسيرته ليست لها أهميّة بالغة.

فالغاية من المقامة ليست تأليف القصص فقط ، و إنّما كان لها وظيفة تعليمية، وهي تعليم الناشئة جوهر اللّغة العربيّة بألفاظها المنمّقة الأخّاذة، و بأساليبها المسجوعة، و التعرّف على ألوان البديع فيها انطلاقا من الحركة التّمثيليّة التي يقوم بها البطل، و العقدةأو المشكلة التي يتعرّض لها في مشواره الدرامي و الفكاهي.

---

[1]-زكي مبارك ، النّثر الفني في القرن الرّابع ، مكتبة السّعادة ، مصر ، ط2 ، جزء 1 ، دت ، ص 197-198.

[2]-شوقي ضيف ، المقامة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط3، 1973م ، ص9.

وهذا ما فسّره أيضا أحمد أحمد بدوي في كتابه" أسس النّقد عند العرب" فقد قال:« فالموضوع في المقامة لا يعنيهم، وإنّما الذي يعنيهم الأسلوب و العبارة»[1]؛ بمعنى أنّ الأسلوب و اللفظ هما الأهمّ في هذا الفن.

فالمقامةإذن؛ فن أُريد بها ترسيخ النّاشئة جوهر، و أساس اللّغة وهو الأسلوب الذي تُعرض به الحادثة، وذلك لغلبة اللّفظ على المعنى.

وهناك تعريف آخر أورده فكتور الكك في كتابه "بديعات الزّمان" حيث قال بأنّها :« حديث قصير من شطحات الخيال أو دوّامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع مسجع تدور حول بطل أفاق أديب شحّاذ يحدّث عنه و ينشر طويّته راوية جوّالة قد يلبس جبّة البطل أحيانا».[2]

فالمقامة إذن؛ هي عبارة عن حديث ذي عبارات قصيرة ترتبط بشخصيات خيالية تعبّر عن الواقع، و القضايا الاجتماعية في بغداد كالفقر، التسول، الحرمان، و قساوة الحياة فيهابأسلوب منمّق يزخر بألوان البديع ، و البيان إذ تدور فيها الحادثة ، وتتعلّق ببطل اتّخذ شخصيّة أديب بلغته و فصاحته، و شحّاذ متسوّل في هيئته فنجده يتّخذ لقصصه هذه ، راويا واحدا وهو عيسى ابن هشام، و بطلا واحدا هو أبو الفتح الإسكندري، الذي يتقمّصشخصيّةشحّاذ مكدي ، و الذي يجذب النّاس بمواقفه في كلّ مرة .

2-ظهور المقامة في العصر العبّاسي :

يقول حنّا الفاخوري في كتابه "تاريخ الأدب العربي القديم" : « المقامة ثمرة تيّارين في الأدب العربي : تيّار أدب الحرمان و التسوّل الذي انتشر في القرن الرّابع للهجرة، و تيّار أدب الصّنعة الذي بلغ به المترسلون مبلغا بعيدا من التأنّق و التعقيد. أما الحرمان فقد كان

[1]-أحمد أحمد بدوي ، أسس النّقد عند العرب ، دار النّهضة ، مصر ، دط ، 1996م ، ص584.

2-فكتور الكك ، بديعات الزّمان ، دار المشرق ، بيروت ، ط2، 1971م، ص48. نقلا عن إبراهيم السعافين، أصول المقامات ، دار المناهل، بيروت- لبنان ، ط1، 1407هـ-1987م ، ص18.

نصيب الكثرة الكثيرة من النّاس في القرن الرابع، تلك الكثرة التي كانت تعيش عيشة فقر و بؤس و إملاق تحت ظلّ المحن و الخطوب، وبين براثن الجوع و المرض و الموت»[1] .

فهذا يعني أنّه نشأ في الأدب العربي تيّاران يمثّلان بالدّرجة الأولى مصدرا طبيعيا، و أساسيا في ظهور وبروز فن المقامة، هذا النّوع الفني القصصي الذي ظهر في العصر العبّاسي حتى يكشف من خلالها الكتّاب، و الأدباء تفاصيل الحياة المزريّة و القاسية التي يعيشها المجتمع العبّاسي في القرن الرّابع هجري من فقر، و حرمان، و انتشار حرفة التسوّل الذي تعرّض له الكثير من النّاس من الطّبقة الفقيرة، فالفقر و الحرمان أدى بهذه الشّعوبإلى التأثّر بحياتهم الاجتماعيّة القاسية، وهذا ما جعلهم يتقمّصون شخصيّة الشحّاذين،ويقومون بشتى الحيل لكي يعيشوا و يتأقلموا، كما ظهرت من جرّاء هذه الحالة المزرية مترسّلون مثلوا هذه الحياة في التراث الأدبي.

أما الطائفة الأخرى فكانت طبقة من النّاس الفقراء الذين لم يتذوّقوا طعم الحياة فاضطروا إلى الاستجداء، و الكدية للحصول على رزقهم و معيشتهم، فمثّل الكتّاب لكل هذه المعاناة عن طريق اعتمادهم على ما يملكونه من مكتسبات أدبيّة و لغويّة في التنميق و الزّخرفة و الصّنعة، والذي بلغ القمة عند هؤلاء، و لإبراز هذا وجدوا هذا اللون الفني الأدبي– المقامة– سبيلا من السّبل حتى يُظهروا قدراتهم البلاغية .

كما قال الفاخوري إلى جانب ذلك: « وحياة كهذه كان لابدّ أن تتمثّل في الأدب، فتمثّلت من جهة بالتسوّل و الكدية، ومن جهة أخرى بالشّكوى و التألّم»[2] .

بمعنى أنّ تلك الحياة الصّعبةالتي يعيشها هذا المجتمع بشظفها و قسوتها، كان من المفروض أن تتمثّل في الأدب، وتصبح نصا من النصوص التي يتداولها الأدباء و القرّاء خاصة، و التّراث الأدبي عامة عن صور هذه الحياة الاجتماعية الرثّة، و انعدام سبل العيش عندهم، و المقامة بطبيعتها ظهرت لهذا السبب بالتّحديد، و لتكشف عن كلّ هذه المأساة، فتمثّلت من جهة بالتسوّل و الشحّاذة، و الاستجداء باختراع المكائد، و من جهة أخرى

[1]–حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت– لبنان ، ط1، 1986م ، ص616 .
[2]–المرجع نفسه ، ص 616.

بالشّكوى، و التعبير عن مآسي و مصاعب الحياة و آلامها فهذا ما عمد إليه بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، فمثّل لعيوب المجتمع العباسي بطابع تغمره السخريّة و الاستهزاء في فن أدبي عرف بالمقامة.

تحدّث الكثير من الأدباء و النقّاد عن أسباب ظهور المقامة في العصر العبّاسي، حيث نجد كذلك طه ندى يقول في كتابه "الأدب المقارن": « المقامة{...}فن من فنون النثر الأدبي، و هي في حقيقتها عرض لمهارة المؤلّف اللّغوية في قالب قصصي تغلب عليه روح الفكاهة».[1]

فهذا دليل على أنّ فن المقامة من أهم فنون النثر الأدبي، و هي في صلبها و موضوعها ظهرت حتى تعرض و تبيّن تلك المهارات، و القدرات اللّغويّة التي يمتلكها المؤلّف، أو الكاتب من حيث البلاغة و البديع، و البيان في الشكل و المضمون، فحرصوا على هذا انطلاقا من هذا القالب الفني – المقامة – الذي هو أقرب إلى القصة تغلب عليه روح الدّعابة و السخريّة.

إلى جانب ذلك نجد حسام محمّد علم في كتابه "دراسات في النثر العبّاسي" يقول: « أنّ المقامة تعدّ من أهمّ الفنون في أدبنا العربي، لاسيما من حيث الغاية أو الهدف التي ارتبطت به، –و لربما قد جاءت من أجله – ألا وهي الغاية التعليميّة المتمثّلة في تلقين النّاشئة فن ترسيخ و تقعيد صيغ و جماليات التعبير، تلك التي تتشحّ بألوان البديع، وتتزيّن بزخارف السّجع، وتزهى بخطوط المحسّنات».[2]

يريد حسام محمد علم من خلال مقولته أن يوضّح بأنّ المقامة تعتبر أهم فنون التراث الأدبي العربي سواء من حيث ما تهدف إليه، و يمكن أن تكون جاءت أو ظهرت لهذا السبب بالضبط، وهي بصفة عامة الغاية التعليمية في مجملها و مضمونها، فقد كان لظهور هذا الفن أثرا بارزا في تعليم النّاشئة فنون اللّغة، وترسيخها في أذهانهم، وتعليمهم صيغ و

[1]–طه ندى ، الأدب المقارن ، دار النهظة العربية ، بيروت ، دط ، 1412هـ – 1991م ، ص 173 .

[2]–حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي القسم الثاني، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ط3، 1427هـ – 2006م، ص114.

أساليب التعبير التي تعجّ و تزخر بألوان البديع، تلك التي تزيّن و تنمّق بزخارف من السجع و المحسّنات البديعية.

هذا ما أكّده كذلك شوقي ضيف في كتابه " المقامة" عندما قال: « ولعلّ ذلك ما جعل المقامة منذ ابتكرها بديع الزمان تنحو نحو بلاغة اللّفظ و حب اللّغة لذاتها، فالجوهر فيها ليس أساسا، وإنّما الأساس العرض الخارجي و الحلية اللّفظيّة »[1].

فالمقامة ظهرت لتهتمّ باللّفظ و اللّغة، و كذلك يقول أحمد أحمد بدوي في كتابه "أسس النقد الأدبي عند العرب": « فالموضوع في المقامة لا يعنيهم، و إنّما الذي يعنيهم الأسلوب و العبارة»[2]. بمعنى أنّ الأسلوب و العبارة لهما أهميّة، و دور فعّال في المقامات.

كما يجيب شوقي ضيف عن السؤال المطروح: لماذا ظهرت المقامة في العصر العبّاسي؟ إذ يقول: « فالقصد الأول في مقامة البديع إنّما هو الإتيان بمجامع من الألفاظ و الأساليب التي تخلب السّامعين و تخترق بروعتها حجاب قلوبهم، فليس للبديع غاية قصصية بالمعنى الدّقيق، و إنما غايته أن يصوغ ألفاظا، أو قل أنغاما من الكلام و يصبغها بالألوان الفنيّة التي كانت معروفة في عصره ومن أجل ذلك اختار صيغة السجع لمقاماته، و كانت هي الصيغة التي يعجب بها عصره {...} فكان لابدّ للبديع كي ينال استحسان معاصريه من أن يعتمد اعتمادا على هذه الوسيلة»[3].

هذا ما يريد أن يثبته شوقي ضيف من خلال هذه المقولة، بأنّ مقامات بديع الزمان الهمذاني في بنيتها الجوهرية و في أولويّاتها الرئيسية التي تهدف إليها، و في السّبل التي جعلتها تظهر في عصره، هو السّعي إلى الإتيان بمجموعة من الصّيغ اللّفظيّة، و الأساليب التي تجذب عقول و انتباه السّامعين، و تبهرهم بروعة ثروتها اللّفظيّة المنمّقة العذبة التي تخترق و تشوّق قلوبهم، فلم يكن للبديع غاية قصصية تتبع من معناها، بل هدفه و تركيزه كان في حرصه على إظهار قدرته على صيّاغة ألفاظ يُكسيها بنغم موسيقي فيصبغها بتلك

---

[1]–شوقي ضيف ، المقامة ، دار المعارف بمصر ، كورنيش النيل – القاهرة ، ط3 ، 1973م، ص 9.

[2]–أحمد أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة ، مصر – القاهرة ، د ط ، 1996م ، ص 584.

[3]– شوقي ضيف ،المقامة ، مرجع سابق، ص 32 .

الألوان الفنيّة التي كانت سائدة في عصره كالسجع، فاتّخذ المقامة كمرجع أساسي لتبيان قدراته و مكتسباته اللّغويّة في ذلك الطّابع الذي يُعجب به عصره، وليحضى بعناية و استحسان و لفت الانتباه من قبل معاصريه، لذلك اعتمد على السّجع كوسيلة، و على هذا الفن القصصي كنموذج.

فإذن يمكننا أن نقول بأنّ المقامة ظهرت أيضا حتى يستطيع الأدباء أن يعبّروا عن ما يملكونه، من كفاءات و مهارات و قدرات في اللّغة و الأدب، و كذلك لإبراز ما يُعجب به عصرهم.

3-المقامة في الآداب العالميّة:

يقول شوقي ضيف في كتابه "المقامة":« عُرفت المقامة منذ وقت مبكّر في الأوساط الفارسيّة ، فقد ألّف القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخي ثلاثا وعشرين مقامة،على نسقمقامات الحريري وأتمّها سنة 551هـ.وكذلك عُرفت في الأوساط اليهوديّة،و المسيحيّة الشّرقية،فترجموها و صاغوا على مثالها باللّغتين العبريّة و السّريانية.أمّا في أروبا فنحننعرف أنّ عناصر كثيرة من القصص العربي تغلغلت هناك منذ أواخر العصر الوسيط و أثناء العصر الحديث{...}وفي كلّ يوم يُظهر الباحثون في عصرنا أنّ الرّوح العربي و الشّرقي على العموم وُجد له هناك منافذ و أبوابا كثيرة لا في الآثار الممتازة فحسب،بل في القصص الشّعبي أيضا».[1]

ويقصد هنا بأنّه لم يقتصر التعرّف على فن المقامة في الأدب العربي فقط، بل قد شمل كذلك الأوساط الفارسيّة ، وذلك في وقت مبكّر، و ما يدلّ على ذلك أنّ القاضي حميد الدّين أبو بكر بن عمر البلخي قد ألّف ثلاثا و عشرين مقامة على نهج ، وطريقة مقامات الحريري، كما توسّعت فعُرفت كذلك عند اليهود، و المسيحية الشّرقيّة، فقاموا بترجمتها إلى لغتهم، فتأثّروا بها و تفاعلوا معها، وصاغوا على شاكلتها، كما نجد أنّ هذا الفن القصصي العربي كان معروفا هناك منذ أواخر العصر الوسيط والحديث، وهذا دليل على تغلغل الرّوح

[1]-شوقي ضيف ، المقامة ، مرجع سابق ، ص10 -11.

العربية، والشّرقية في الآداب الأوربية، حتى في القصص الشّعبي، وهذا ما أحدث تقاربا كبيرا بين الشّرق و الغرب، فالمقامة العربيّة إذن توسّعت في الآداب الأخرى.

4- نشأة المقامة عند بديع الزّمان الهمذاني:

4-1- ظهورها و تطوّرها:

ألّف بديع الزّمان مقاماته أثناء تواجده بنيسابور وقد أشار أغلب الأدباء و النقاد إلى أنّه كان ينهي بها الدروس التي كان يُلقيها على الطلاّب،حيث كان يقدّم لهم بعض المسائل اللّغويّة و النّصوص الأدبيّة، وهناك من يظنّ بأنّه يقوم بعرض أحاديث ابن دريد التي ألهمته، وأبهرته مقامته، وكانت غايته جرّاء هذا أن يعلّم هؤلاء الطّلبة أساليب و لغة العرب.

وهذا ما صرّح به الحصري قائلا: « لمّا رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا، و ذكر أنّه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، و أبداها للأبصار و البصائر، وأهداها إلى الأفكار و الضمائر، في معارض عجميّة ، وألفاظ حوشيّة{...}عارضه بأربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا، و تقطر حسنا»[1]، لاكن لم تكن أحاديث ابن دريد تدور حول الكدية، كبديع الزّمان، و بالرّغم من ذلك إلّا أنّ العلاقة و الصّلة بينهما واضحة، فأحاديث الأول قام بصيّاغتها على شكل رواية، فيها نوع من السّجع، وتعجّ بالألفاظ الغريبة، ألّفها قصد تعليم النّاشئة اللّغة، فالغاية هي نفسها عند كليهما،و إلى جانب هذا أضاف الهمذاني مقامات أخرى منها: ستّة قام فيها بمدح خلف ابن أحمد عندما مكث عنده، وخمسا أخرى فأصبحت نيفا و خمسين.

إنّ من يطّلع على كتاب الأمالي، و يقرأ بعضا من صفحات مقامات البديع يجد موضع الصّلة بينهما ؛ فمثلا المقامة الحمدانيّة التي تتناول صفة الفرسهي تكملة و تتمّة لما ورد في الأمالي من وصف الفرس كما أنّ فكرة الكدية ، أو الشحّاذة يمكن أن يكون قد

[1]-شوقي ضيف ، المقامة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة، ط 3، 1973م ، ص 17.

استمدّها من "خطبة الأعرابي السّائل في المسجد الحرام" ، التي رواها صاحب الأمالي عن ابن دريد، وهذا ما يثبت تأثّر الهمذاني به–ابن دريد–.[1]

لقد استوحى بديع الزّمان كذلك من ما كتبه الجاحظ عن أهل الكدية وحيّلهم في انتزاع المال، و الطّعام من النّاس، ومن يدرس مقاماته يلمس تأثّره بهذا الأخير ؛ وهذا يثبت أنّ ابن دريد جعله يكتب أحاديث تعليميّة ؛ بمعنى أثّر عليه من حيث الشّكل، أمّا بالنّسبة للجاحظ فقد أثّر عليه من حيث الموضوع، فتناول في مقاماته الكدية إضافة إلى هذا برزت في عصر البديع طائفة من أصحاب الكدية عُرفوا بالسّاسانيين الذين يعود أصلهم إلى ساسان، هذا الشّخص الذي ينحدر من بيت ملكي قديم في فارس، و الذي قيل عنه بأنّه حرمه والده المُلك ، فقد انتزع منه الدّار عندما كان ملكا فأصبح ضائعا فاحترف و مارس الكدية.

لقد قيل بأنّه اشتهر من هذه الطّائفة شاعران هما: الأحنف العُكبري الذي يعدّ شاعر المكدّين فتناول حيّلهم ، و الثّاني أبو دُلف الخزرجي الشّاعر الذي خدم الأدب بأحاديثه الطّريفة، كان مشحوذ في الكدية، فقد تأثّر و أُبهر الهمذاني بهما، وهناك أدلّة كثيرة تُوضّح ذلك، ففي المقامة الأولى وظّف بيتين على لسان أبي الفتح بطل مقامته، وهما من شعر أبي دُلف الذي رواه الثّعالبي في يتيمته قال:

وَيحكَ هذاَ الزَّمَانُ زُورُ فَلَا يَغرنَّكَ الغَرُورَ

لَا تَلتَزِمْ حَالَةً ولَكن دُر باللَّيَالي كَمَا تَدُورُ.

المقامة الرّصافية هي أيضا نثر لقصيدة الأحنف التي صوّر فيها حيل ، و خدع المكدّين ، وما يبرهن تأثّره به أنّه سمّى إحدى مقاماته بالمقامة السّاسانية نسبة إلى هذه الطّائفة .

هذه المقامة تعبّر عن هذه الطّائفة ، وتصف طريقة حيّلهم في الكدية، فنرى فيها أبا الفتح الإسكندري بطل المقامات ساساني كبير ، و أديب شحّاذ عظيم، وما يُلفت نظر القارئ

[1]–شوقي ضيف ،المقامة ، مرجع سابق ، ص17–18، بتصرف.

تلك الصّيغة التي يبدأ بها البديع مقاماته "حدّثني عيسى ابن هشام ، قال:" ، فهي تدلّ على أنّ الهمذاني عندما كان يُؤلّف هذه المقامات، كان هدفه أن يُقلّد طريقةَ ابن دريد في منهجه، و أحاديثه التي يسندها بالألفاظ اللّغوية التي يتخلّلها الكذب و الخيال[1].

4-2- موضوعات المقامة:

تناول بديعالزمان مواضيعا شتى في مقاماته لكنها تدور معظمها حول المواضيع الاجتماعية منها: الآفات الاجتماعية كالفقر،السرقة ، التسول ، كما خاض في المواضيع الدينية : كالدعوة إلى الزهد والى التحلي بالمكارم الأخلاقية وغيرها ، كما تحدث في المواضيع السياسية .

يقول حسام محمد علم: « تعددت موضوعات المقامة عند بديع **الزمان الهمذاني** والتي استوحاها مما كتبه الجاحظ عن قصته عن أهل الكدية، كما أفاد مما كتبه ابن دريد من أحاديثه المعروفة في كتابه الأمالي .والتي جعلته يأخذ اتجاها تعليميًا»[2].

وهذا يوضح أنه قد اطَلع على العملين و تأثر بهما« ومن غير شك يعلو في التأثير فيه العمل الأول على العمل الثاني،فابن دريد وجهه ليكتب أحاديث تعليمية؛ أي أنه أثر فيه من جهة الشكل، أمَا الجاحظ فأثر فيه من جهة الموضوع، إذ جعله يدير أحاديثه أو مقاماته على الكدية»[3].

تدور مقامات الهمذاني في معظمها حول موضوع الكدية أي الاستعطاء، كمعنى أول، أمَا المعنى اللغوي للكدية فقد ورد في معجم الوسيط بأنه الفعل:«(كدى) الرجل ـ كديًا: بخل أو قلّلَ عطاءَهُ .و كدَى : لم يبق له ربح، فهو كدٍ،و كَدِيَ.(أكدى) الحافر: بلغ الكُديةِ

---

[1]– شوقي ضيف ، المقامة ، مرجع سابق ، ص24، بتصرف.

[2]–حسام محمد علم ، دراسات في النّثر العباسي ، جامعة الأزهر ، ط4 ، 2007–2008م ، ص 132.

[3]–شوقي ضيف ، المقامة ، مرجع سابق ، ص 20.

فلا يمكنه أن يحفر- و- فلان : بلغ الصحراء . و- ألحَ في المسألة .و بَخِلَ . و في التنزيل العزيز:(وَأَعطَى قليلاً و أَكْدى).و افتقر بعد غنى.

ويقال للرجل عند قهر صاحبه له: أكدت أظفارُك. و- المطرُ: قلَ و نكِدَ. و المعدِنُ: كَدِيَ. و العامُ: أجدبَ .و - فلانا عن الشيء: رَدَه عنه . (الكادية) : شدةُ الدَهر. و- شدةُ البردِ.(الكُدَى) : الصَحراء .

(الكدَاةُ) كلَ ما جُمع من تراب و نحوه فجعل كثبةً . (ج) الكَدَى.(الكديةُ): الأرض الغليظة أو الصَلبة لا تعمل فيها الفأس.(ج) كُدى .و- حرفة السائل المُلِحً. و يقال: بلغ الناسُ كُدْيةَ فلان: إذا أعطى ثم منع و أمسكَ»[1].

نقصد بالكدية الشحاذة والتسول ومعنى ذلك أن بديع الزمان تأثر بابن دريد في مقاماته ، وأنه عارضه بها معارضة كما يضيف شوقي ضيف عملا آخر للجاحظ أثَر فيه أثرا بليغا، إذ تحدث في بعض كتبه عن أهل الكدية ، و هو الذي أوحى إليه أن يدير أغلب مقاماته على الكدية، يقول: «وتدور هذه القصة بين شيخ من أهل الكدية و شاب منهم حديث العهد بالصناعة. فيدور حوار بينهما ويذكر له شرف الكدية وأن أصحابها في نعيم لا ينفذ، ويقص عليه قصة طريفة حدثت له في بلدان الجبل، و كيف احتال على أهلها و أخذ منهم الأموال»[2].

كما استمد هذا الموضوع من: « الطائفة التي برزت وهي أصحاب الكدية في عصره ، وكانوا يُعرفون حينئذٍ بالساسانيين نسبة إلى ساسان، وهو شخص من بيت ملكي قديم في

[1]- شعبان عبد العاطي عطية ، أحمد حامد حسين و آخرون ، معجم الوسيط ، مكتبة الشّروق الدوليّة ، مصر-القاهرة ، ط4، 1425هـ-2004 م ، ص 780.

[2]- شوقي ضيف ، المقامة ، دار المعارف ، مصر – القاهرة ، ط3 ، أول فبراير 1954م، ص20، بتصرف.

فارس، يقال إن أباه حرمه من الملك، و يقال أنه كان ملكا، و اغتصب منه الملك دارا فهام على وجهه محترفا للكدية ، وهي أسطورة»[1].

إذن تعتبر الكدية موضوعا رئيسيا للمقامات ، وهي في نفس الوقت وسيلة اعتمدها للكشف وفهم المجتمع ليتعرف عليها القارئ ، لذلك جاءت المقامات لتعبر عن صورة عصر مضطرب عاشه العرب في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، كما اتخذ بطل مقامات الهمذاني وسيلة لكسب المال، إذ يظهر أبو الفتح الاسكندريَ في شكل أديب شحاذ يخلب الجماهير ببيانه العذب ، ويحتال بهذا البيان على استخراج الدراهم من جيوبهم [2].

وبالرغم من أن التسول الذي يعتبر من أهم الموضوعات للمقامة ،إلا أن المقامة قد عالجت إلى جانبه موضوعات مختلفة مثل النقد بأنواعه المختلفة الأدبي و الاجتماعي، كالمقامة الجاحظية و الشعرية.

ففي موضوع النقد يتحول **الهمذاني** إلى ناقد أدبي يطلق أحكامه و آرائه على الشعراء، وقد أثبت ذائقته الرفيعة في إطلاق أحكامه، والتي فرضتها ظروف عصره و حياته كونه أديباً و مثقفًا عالمًا.

كما خاض في الجانب الديني، فتحدث عن الوعظ و دعا إلى الزهد و إلى التحلي بمكارم الأخلاق في المقامة الوعظية و الوصية .

لكن على رغم ذلك فإنه لم يتخلّ عن استعمال الحيلة في مقاماته.

[1]–شوقي ضيف ، المقامة ، مرجع سابق ، ص20.

[2]–المرجع نفسه ، ص 24.

4-3-أغراض المقامة:

يعد فن المقامة من أهم الفنون الأدبية، وهي عبارة عن قصة قصيرة تُكتب بلغة إيقاعية تميل أكثرها إلى الحديث، وهذا الحديث ذات طابع أدبي بليغ.

يقول شوقي ضيف في ذلك: « ليست المقامة إذن قصة، وإنما هي حديث أدبي بليغ و هي أدنى إلى الحيلة، فليس فيها من القصة إلاَ ظاهر فقط، أما في حقيقتها فحيلة، يطرفنا بها بديع الزمان الهمذاني و غيره لنطَلع على حادثة معينة ومن جهة أخرى على أساليب أنيقة ممتازة»[1].

إذن فمن الوهلة الأولى تظهر وكأنها قصة أي من الظاهر أو الخارجي، لكن في جوهرها فهي حيلة، وفيها ضرب من الاحتيال و الكدية للتكسب ، و التعيّش وفيها صور متلونة لطبائع المجتمع العباسي وعاداته وتقاليده،و قد ألَفها بديع الزمان الهمذاني ليصور الحوادث المعينة التي تحدث للبطل.

تعتبر مقامات **الهمذاني** فن بديع وأصيل قدمت خبايا المجتمع العباسي بصورة فنَية جميلة وناقدة، وقد اختلفت أغراض مقاماته وتنوعت أبوابها، فمنها الأدبية كالمقامة الجاحظية و المقامة القريضية، فنجد كل منهما الأنواع الأدبية من شعر ورواية ونقد.

ومنها الدينية ،الخلقية، و الاجتماعية في المقامة الوعظية،إذ نجد فيها دعوة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة، ودعوةإلى الزهد و التأَمل.

ومن أهدافها نقد العادات و التقاليد السيئة و الشخصيات السلبية في المجتمع،وقد اعتمد على الوصف كثيرًا في مقاماته لينقل أسلوب الحياة في عصره على نحو ما نرى في المقامة البغدادية، وقد صور الحياة في بغداد لعصره.

[1]-شوقي ضيف ، المقامة ، مرجع سابق ، ص 9.

كما تتخلّل المقامات صور مختلفة عن حياة الناس، و المعاصرين له في سلوكهم، أطعمتهم، لهوهم ونفاقهم، كما أعطى صورة دقيقة لفساد الناس في مجتمعه، كذلك بيَن ظلم القضاة و طغيانهم وفساد ضمائرهم في المقامة النيسابورية، وهي صورة سيئة.

وكل هذا شاهد ناطق بأن مقامات **الهمذاني** تمثل حياة المجتمع لعصره خير تمثيل.

وقد حصر **حسام محمد علم** أهداف المقامة في ثلاثة أشياء .

أولا: « إظهار المقدرة الفنية فقد كان **بديع الزمان** واثقا بنفسه، فخورًا بقدراته،غزير الثقافة، فعمد الى الكشف عن قوة حافظته، وسعة اطلاعه و كثرة رحلاته و روعة ابتكاره»[1].

وقد أظهر في مقاماته قدراته الفنية وبراعته اللغوية أجمل إبراز بلغة سلسة و جمال الأسلوب الأنيق، و التفنن في الإنشاءواهتمامه باللفظ، واعتماده على المجاز أكثر من الحقيقة فكانت مقاماته أنيقة العبارات حافلة بالمحسنات البديعية، والأمثال و الأشعار.

أمّا الهدفالثاني فيتمثل في:« تصوير مظاهر مجتمعه عامة في صورة أدبية طريفة تدخل البهجة على النفوس، وتكشف عن أخطاء هذا المجتمع رغبة في إصلاح ما فسد، ثم تصوير معاناته من التشرد و قسوة الغربة و سوء الحال »[2].

بمعنى أنّ المقامة في معظمها تصف وتتكلم عن مشاهد الحياة اليومية، و مشاكل الناس وصور أخلاق المعاصرين وأحوال المعاصرين أحسن تصوير،كما كان يسعى إلى تسلية القارئ.

[1]–حسام محمد علم ، دراسات في النّثر العباسي ، جامعة الأزهر ، ط4 ، 2007–2008م ، ص 131.

[2]– المرجع نفسه ، ص 131.

ثالثًا : « تعليم الناشئة ، إذ كان **بديع الزمان** عربيًا غيورًا على العروبة،حريصًا على أن تظل اللغة العربية قوية سليمة، كما كان حريصًا على إحياء أجمل ألفاظها،فحرص على يجسِد في المقامات قيمًا معجمية ليعلم الناس اللغة القصيرة»[1].

ومنه يمكننا أن نعرف ما يقصده **بديع الزمان الهمذاني** في مقاماته التي قُدّمتبصورة واهية لذلك المجتمع العباسي، وهنا تتضح كيف كانت المقامة الفنية عنده وليدة بيئته بعينها في مرحلة معينة من مراحل التاريخ.

كما اعتبر **شوقي ضيف** أنَ « فن المقامة من أهم فنون الأدب العربي ، الذي ظهر في القرن الرابع الهجري، وخاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية التعليم و تلقين الناشئة صيغ التعبير، وهي صيغ حُليت بألوان البديع ، وزينت بزخارف السجع،وعنى أشد العناية بنِسَبها ومعادلاتها اللفظية و أبعادها ومقابلاتها الصوتية»[2].

إذ منها يتعلم الناس و خاصة الطلاب غريب اللغة و السجع وفنون البلاغة بصورة تطبيقية سهلة.

و من أهدافها أيضًا إعطاء دروس في الدنيا والدين بقالب فكاهي؛ لكي لا يسبب الملل للقارئ عندما يتصفح القارئ المقامات يحس بالإمتاع والمؤانسة .

وعليه إن من بين الأغراض التي وضعت لأجله المقامة هو مجموعة من مواضيع وأغراض شتى، وقد اتضح ذلك في مجملها ألا وهو جمع معجم أصيل ووافر، من الألفاظ والعبارات وابتكار مختلف التشبيهات والاستعارات، والكنايات والإبداع فيها، وتجميل الكلام بتعابير منمقة بألوان البديع من طباق وجناس، و إلى جانب ذلك نجد الهمذاني عرض القريض و الأدب والنقد، كما في المقامة القريضية والجاحظية و العراقية فتناول في الأولى

[1]-حسام محمد علم ، دراسات في النثر العباسي ، مرجع سابق ، ص 131.

[2]– شوقي ضيف ، المقامة ، دار المعارف ، مصر – القاهرة ، ط3 ، مج1 ، 2010م ، ص 5.

امرؤ القيس وافتخر بما ابتكره ، و تناول النابغة ، و بيَن أجود ما عنده ، كما تناول زهير وطرفة ، و عظَم بقدوة شاعريتهما ، وعالج الأدب المقارن فميَز بين الأخطل و جرير و الفرزدق، كما عرض لمشكلة القديم والحديث، فذكر الصراع الذي كان يحصل بين الشعراء و الكَتاب بكلام موجز ، و في طابع من الدقة و الصحة، وفي المقامة العراقية قام بتحليل نقدي لبعض الأبيات الشعرية، و عرض كذلك للوعظ الديني، كما فعل في المقامة الوعظية عندما قابل الناس، وخاطبهم واقفا، يعظهم و يحثهم، على الاطلاع إلى الأخيرة، وكذلك عالج غرض المدح التكسّبي على سنة الشعراء عندما وصف في المقامة الخلفي خلف بن الأحمر بالعقل والكرم[1].

5-الطابع الساخر في المقامة:

اتصفت مقامات الهمذاني في مجملها بطابع السخرية وبالنقد اللاذع، حتى و إن اختلفت في المواضيع والأغراض منها: الأدبية ، العلمية، والدينية إلاَ أنها فيها سخرية شديدة، و فيها يصور المجتمع و عاداته، فكان يعتمد على السخرية كوسيلة لنقد حقيقة ما تجري في المجتمع العربي في القرن الرابع.

5-1- مفهوم السخرية لغة:

جاء في لسان العرب «:(سخر : سَخِرَ منهُ و به سَخْرًا و سُخرًا بالضم، و سُخْرَةً و سِخْريًا و سُخْريًا و سُخريَةً : هَزِئَ به.

قال سُخريَةَ- الفراء يقال سَخِرتُ منه ولا يُقال سَخِرتُ به. وقال الله تعالى:(لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ).

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي القديم ، دار الجيل ، بيروت- لبنان ، ط 1، 1968م، 627-629، بتصرف.

وسَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحة، قال تعالى(فَيَسْخَرُونَ مِنهم سَخِرَ الله مِنهم). وقال أيضا:(ان تَسْخرُوا منَا فإنَّا نسْخَرُ منكم).

و السخرة : هي الضحكة ـ و رجلٌ سُخرةً : يسخر بالناس. وفي التهذيب : يسخَرُ من الناس، و سُخْرَةً: يُسْخَرُ منه. وقال الأخفش : سَخِرتُ منهُ. و سَخِرتُ به. و ضحكتُ منه، و ضَحكتُ به. وهزئْتُ به. كلٌ يُقال.»[1].

كما أن كل المعاني الواردة في المعجمات العربية لمفردة السخرية ؛ تقول: إن معنى السخرية و التهكّم هو الضحك و الاستهزاء.

5-2- السخرية اصطلاحا:

يقول رائد عبيس: « لقد واجه الباحثين صعوبة في تحديد تعريف السخرية بتعريف جامع لها، و منهم على سبيل المثال :(ميوك وكلير كلوبير) ، و ذلك في طبيعة استعمالها و الغرض منها كذلك العصر، وتاريخ السخرية يكشف عن صراع بين المجالات منها : الأدب و الفن، وكل تخصص حاول وضع مفهوم السخرية لتناسب عمله»[2].

كما استعملت السخرية في الأدب العربي الوسيط بأدبيات مختلفة، و قصص فكاهية ظريفة مثل :حكاية جحا ، و أدبيات الجاحظ و غيرها[3].

فالسخرية اذن قديمة قدم الانسان؛ لأنها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب أو استنكارا لما يقع، أو استهزاء بالخصم هذا ما نجده في المقامة حيث صور الهمذاني طباعا إنسانية مضحكة كالبخل، التسول ، الطمع، السرقة، و التَنكر.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب ، تح عامر أحمد حيدر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ج 4، 2005 م، ص 352..

[2]- رائد عبيس ، فلسفة السّخرية عند بيتر سلوتردايك ، دار الأمان ، الرباط، ط1 ، 2016م ، ص 21، بتصرف.

[3]–المرجع نفسه ، ص 21.

أضاف رائد عبيس إلى جانب ذلك قائلا: « مع ذلك ترتبط السخرية بالطابع الأخلاقي المحافظ، فهي تنتقد مظاهر البعد عن القيم التقليدية الراسخة مثل: الكرم، الصدق، الشجاعة، وما إلى ذلك»[1].

تتفق معظم تعريفات السخرية على القول بوجود مكوَن أخلاقي فيها هو الذي يفصل بين السخرية، و الكوميديا، أو الفكاهة الخالصة، و تظهر السخرية بأساليب متنوعة سواء كانت بالجد، أو المزاح أو الاستهزاء القاسي، كما يمكن استعمالها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فالمقامة إذن تحمل في داخلها لون من ألوان السخرية أو النقد ، و جاءت في إطار من الصنعة اللفظية و البلاغية لتمثل صورًا من الحياة الاجتماعية في العصر الذي كتبت فيه، و هدفها نقد العادات و التقاليد السيئة والشخصيات السلبية في المجتمع، كما وظف السخرية لفضح علاقة الأفراد في العصر العباسي.

ويقول زكي مبارك :« إنَ المقامات تنتهي عادة إلى فلسفة واحدة هي السخرية من العالم واقتناص ما يملكون بشتى الحيل و المداورات من غير تورع و لا استحياء. ففي المقامة الأصفهانية يحتال أبو الفتح الاسكندري فيحتجز المصلين في المسجد ولا يزال بهم حتى يملأ جيبه ثم يسخر من أولئك المتصدقين»[2].

وقد استعمل الهمذاني السخرية ولجأ اليها في مقاماته من أجل اعتبارات معرفية أحيانا و شخصية أحيانا أخرى، أي هناك ما أثاره في مجتمعه و استنكارًا لما يقع في عصره، وبطل مقامات الهمذاني (أبو الفتح الاسكندري) هو شخصية ساخرة فصيحة ذكية بليغة ينتمي إلى طبقة اجتماعية متدنية، وله القدرة على التعدد و التنكر على حسب الموضوع فتارة نراه واعظًا، ومرة متسولا فقيرًا، و مرة فقيهًا.

[1]– رائد عبيس ، فلسفة السخرية عند بيتر سلوترديك ، مرجع سابق ، ص 26.

[2]–زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، مصر ، دط ، 1934م ، ص 713.

و عليه يمكن القول أن المقامة قد اتسمت بطابع الهزلي و التهكمي، ويتضح هذا في القول التالي:« تعتبر السخرية شكل من أشكال ممارسة النقد الاجتماعي والسياسي و الأخلاقي، وإذا تقفينا أثر الأدب الساخر، اكتشفنا أنه كان يمثل في أغلب فترات الأدب أدبا هامشيًا، إذ أن المؤسسة الأدبية تعتبره مجرد أدب تهكمي لا يصلح للخوض في الموضوعات الجادة»[1] .

6- المقامة ونقد الحياة الاجتماعية في العصر العباسي:

تميز العصر العباسي عن غيره من العصور في العديد من الخصائص في كافة جوانب الحياة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، أو الثقافية، وكان لكل حياة ملامح خاصة .

إن الحياة العباسية فرضت نفسها على الأدباء العباسيين فرضًا سواء الحياة السياسية وما كان يجري فيها من ظروف وأحداث مختلفة، أو الحياة الاجتماعية التي تميزت بشكل عام بالترف،التحضر، والنعيم يقول شوقي ضيف :« أن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء {....}و من اتصل بهم من الفنانين شعراء و مغنيين و من العلماء و المثقفين »[2].

ويعني هذا أن النعيم الذي طغى على الطبقة الحاكمة قد توفرت لهذه الطبقة سبل العيش الكريم ،و كان من الطبيعي أن تكون هذه الحياة الباذخة باهِضة التكاليف، التي يجب أن يتحملها الشعب المقهور كي لا يفسد على سادته متعتهم.

---

[1]- بن علي لونيس، العين الثالثة/ تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2018،ص 146.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 2 العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط 8، 1966م، ص 45.

ويقول شوقي ضيف في ذلك :« وكأنَما كُتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعًا بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس و الشقاء وأن يتحمل من أعباء الحياة ما يُطاق و ما لا يُطاق»[1].

وهذا ما أدى الى ظهور طبقتين : طبقة تنعم بالحياة وخيراتها، وطبقة تعيش في بؤس وشقاء. وهذه الأخيرة كانت الجانب الأكثر في الحياة العباسية .

إنّ العصر الذي عاش فيه الهمذاني كان عصر انحطاط القيم،وانهيار السقوف الأخلاقية ، و ذلك بسبب الاختلاط بين الشعوب ، و كذلك الصراع بين المذاهب الدينية، وهذا ما ألهم الهمذاني في مقاماته حيث عالج جل القضايا الاجتماعية ؛ لأن المبدع وليد بيئته و منها يستقي موضوعاتها فقد صَور في مقاماته عادات و تقاليد و معتقدات عصره، فكان هدفه نقد الأوضاع الاجتماعية و وصفها.

- جدل الشّعر و النّثر في العصر العبّاسي:

7- 1 - الشّعر بوصفه مركزا:

إنّ الشّعر في الجاهليّة كان بمثابة انطلاقة للنّفس الإنسانية في العديد من مناحيها إذ يرافقها في نزعاتها الفطريّة، وتطلّعاتها القبليّة، وعندما كان العهد الأموي تغيّر حال و مسار الشّعر حيث انتقل من عالم النّفس، و الأهواء الفردية و القبليّة إلى عالم السّياسة العامة، فكان كلّ شيء تحت سيطرتها، إلا ما كان في البوادي، و الحواضر البعيدة عن السّلطة، أما في العهد العبّاسي فكان مخالفا لذلك، فقد ظهر بحضارته الجديدة معتمدا على النّظم الفارسيّة في الحكم، فتعدّى بذلك حدود التّقاليد العربيّة، و لم يعد يَعتدّ بها، و ابتعد كلّ البعد عن العصبيّة القبليّة، فتحوّل الشّعر إلى زينة اجتماعيّة ، و إلى وسيلة كسب فأصبح

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي 2 ، مرجع سابق ، ص45.

بذلك يعبّر عن واقع الحياة، و آمال الشّعب، و آلامه فقد سلك الشّعر العبّاسي مسارا آخر تطوّر فيه من حيث العامل، و الغاية فاكتسب منزلة مرموقة ، و تلقّى تذوّقا شديدا[1].

تغيّر تفكير الشّاعر العبّاسي تغيّرا جذريّا فقد اتّسم الشّعر آنذاك بمعاني دقيقة في التصوير، و استنبط أفكارا و آراء جديدة، فمال إلى الإكثار من استخدام المثل و الاستعانة بالآراء الفلسفية، بحيث كان المنطق يتغلغل في صياغاتهم الذّهنيّة، فنجد القصيدة مثلا : عند أبي تمّام محكمة من حيث العناصر و الأجزاء، وهناك فئة كبيرة من تبعه في ذلك فأبدعوا في التفنّن و الخيال، وانصرفوا عن تلك المعاني البدويّة إلى معان حضريّة صرفة كما في أغراض جديدة نتيجة تأثّرهم بالحضارة، و الحياة في ذلك العصر .

إنّ التّجديد الشعري في العصر العبّاسي لم يتجاوز حدود صناعة الشّعر حيث تميّز برقّة العبارة وخلق معاني جديدة ، و الاستعانة بالبديع اللّفظي فقد كان نتاج شعراء هذا العصر يتّسم بسمات دقيقة ، و بدراسة النّفس، و الوجدان في طبائعها وخصائصها، وفهم ما يجول في الحياة، وكشف أسرارها ، كما امتاز هذا الشّعر كذلك بالاستعانة بالحجج و البراهين،بحيث لا يقتنع الشّاعر العبّاسي برأي ما إلّا و يرفقه دليل أو تبرير ما[2] .

7-2- النّثر بوصفه هامشا فنيا:

شهدالنّثر في العصر العباسي أحداثا متعدّدة تاريخيّة وسيّاسية ، حدثت فيه تطوّرات اجتماعيّة غيّرت حياة العرب من وضع إلى وضع نتيجة نضج العقل ، و تطوّر الثّقافة وكان لهذا أثر عميق، وبارز في الكتابة الفنيّة بصفة خاصة ، و في الأدب بصفة عامة ، فقد أخذ النّثر العبّاسي ينمو في ضلّ الحضارة الجديدة، فتعدّى تلك الحدود التي وقف عندها الشّعر، فأصبحت تغمره آثار المدينة و التّفكير العبّاسي أكثر ممّا تغلغلت في الشّعر، ويظهر ذلك من خلال أغراضه و أساليبه ، فالخطابة عرفت ضعفا متذبذبا في هذا العصر، و ذلك بسبب ضعف الحاجة إليها و القدوة عليها .

---

[1]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط1، 1986 م، ص666ن بتصرف.

[2]-محمد خفاجي ، الحياة الأدبيّة في العصر العبّاسي، دار الوفاء ، الإسكندريّة ، ط1، 2004م، ص49 -58 ، بتصرف.

فقد كانت روح العصبيّة من أكبر دواعي هذا النّوع، فقد أحدثت انقلابا خطيرا بظهور الثّورات الاجتماعيّة، و هذا ما جعلها تحتلّ مكانة و أهميّة بالغتين، فتعدّدت موضوعاتها وتوسّعت لكنّها لم تظل على هذا الحال، بل تقلّص شأنها عندما أصبح الاعتبار للسّيف و السّلطان، و ليس اللّسان، و خفّ نار الأحزاب و الثّورات وساد الضّعف في الفصاحة العربيّة، حيث غيّر النّاس مسارهم إلى الثّقافة، الكتابة، و الإقناع فأصبحوا يخطبون، و يكتبون بالأقلام، واستولت على مكانتها –الخطابة– الرّسائل الإداريّة، و المناظرات الأدبيّة {...}الخ، كما أنّ الكتابة في العصر العباسي أصبحت تميل إلى السّهولة و السّلاسة في العبارات، و التأنّق و الإبداع في اللّفظ، و مالت كذلك إلى استخدام الألقاب.

كما كثرت في هذا العصر الرّوايات القصصية، و المقامات إلى جانب هذا هناك بروز للفلسفة و العلوم، وهذا ما حقّق اتّساعا هائلا في مجال التّفكير، كما وُجد كذلك الأثر و الأدب الفارسي في الكتابة فكان له حضورا أيضا ، أمّا النّثر العربي فكان ظهوره في

التّوقيعات ، وهذه هي أهمّ سمات النّثر العبّاسي بوصفه هامشا، التي ستتقلّص شيئا فشيئا إلى أن تُصبح مجرّد صنعة [1].

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل ، بيروت- لبنان، ط1، 1986م، ص 529-528، بتصرف.

المبحث الثاني

مفهوم الحكي و آلياته

«فدرت إلى وجهه لأعلم علمه فإذا و الله شيخنا أبو الفتح الاسكندري ».

محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص18.

1-مفهوم الحكي:

إذا أردنا أن نفهم ما معنى الفن الحكائي، يجب أن نتعرّف أوّلا على مفهوم الحكي، الذي هو نقل و سرد أحداث ووقائع من قبل السارد بفعل الإخبار، حيث يتكلّم السارد و لا تتحدّث الشخصيات[1].

نجد أنّ بعض الباحثين في رؤاهم السردية يميّزون الحكي بين مستويين:

أ-**القصة:** التي تسمى بالحكاية أيضا، و التي يُقصد بها سلسلة من الوقائع، و الأحداث لها بداية و لها نهاية يمكن نقلها عبر الرواية أو الحكي.

ب-الخطاب:و هو الطريقة التي تُحكى بها القصة، و التركيز يكون على تلك الكيفية التي يروي بها السارد القصة، و ليس الأحداث التي تجري فيه إذ هناك فئة من الباحثين يوظفون مصطلح "السرد" بدل "الخطاب"[2].

2-تعريف الصوت السردي: من يتكلّم؟ و من يتلقى؟

أ-**صيغة الحكي:** هي تلك الطريقة التي من خلالها ينقل السارد القصة، و يخبرنا بها و بأحداثها؛ أي الكيفية التي ينقل بها السارد كلام الآخرين، و يوصل خطابات المتكلم في الرواية سواء كان كلام السارد أو الشخصيات[3].

يشترط الحكي حضور ثلاثة عناصر: القصة و السارد (الراوي)، و المسرود له (المروي له)، حيث يُعدّ السارد ذلك الذي ينقل، و يحكي الأحداث التي طرأت في القصة بحيث تكون شخصية متخيّلة، فالراوي مثلا في المقامات هو ضمير(نا) مجهول، وعيسى بن هشام هو راوي ثاني، و يتضح من الصيغة " حدّثنا عيسى بن هشام قال:"، أما المسرود له

---

[1]-محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص109، بتصرف.

[2]- المرجع نفسه ، ص 72، بتصرف.

[3]- المرجع نفسه، ص 109، بتصرف.

هو ذلك الذي يتلقى الحكاية بفعل الاستماع، وهذا ما يشكّل في كل سرد علاقة تواصل بين السارد، و المسرود له [1].

ب-الشّخصيات: إنّ الشّخصية في مفهومها تمثّل عنصرا محوريا أساسيا في السرد، وذلك لأنه لا يمكن أن تولد رواية دون شخصيات، بكونها تُمثّل محور التّجربة الرّوائية، و لأنّها من ناحية المنظور الاجتماعي، يتحوّل دور الشّخصية إلى النمط الاجتماعي، فتعمل على التعبير عن الواقع الطّبقي انطلاقا من تلك الأفعال، التي تقوم بها في سياق السرد بوصفها عنصرا يتفاعل مع الدّور، أو الوظيفة التي تُنجزها في الحكاية[2].

ج-المكان: يمثّل المكان كمكوّن محوري عنصرا فعّالا في بنية السّرد، وذلك لأنّه من المستحيل بناء و تصوير حكاية دون مكان، فكلّ حدث يبرّر و يثبت وجوده في مكان محدّد، و زمان معيّن وذلك حتى يكون بمقدور القارئ و الرّاوي، أن يُميّز بين مختلف الأشياء من خلال وضعها في مكان معيّن، و يستطيع كذلك تحديد الحوادث فيه من خلال تأريخ وقوعها في زمان ما[3].

د-الزّمان: الزّمن عنصر مهم في الحكي ميّزه الباحثون بين مستويين:

زمن القصّة: و هو يُحدّد زمن وقوع الأحداث المروية في القصّة، تكون لها بداية و نهاية.

زمن السّرد: هو زمن يقدّم فيه السارد القصّة، و يكون مطابقا لزمن القصّة[4].

3-تعريف الرؤية السّرديّة:

إنّ الرؤية السّرديّة لها علاقة مباشرة بالطّريقة التي يتمّ من خلالها إدراك و سرد القصة من قبل السارد، و هناك لفظا آخر مماثل لها هو المنظور السردي.

---

[1]- محمد بوعزّة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت، ط1، 2010م، ص 72، بتصرف.

[2]- المرجع نفسه ، ص39، بتصرف.

[3]- المرجع نفسه ، ص99ن بتصرف.

[4]- المرجع نفسه ، ص87، بتصرف.

اختلفت و كثرت الدراسات و الأبحاث حول مفهوم الرؤية السرديّة، فعرفت توسّعا جرّاء تطوّرها من حيث تعدد التعريفات و الشّروحات حولها، و هذا ما شكّل بحثا مفتوحا حول مفهومها.

عرّف تدوروف الرؤية السرديّة فميّزها بين ثلاثة أنواع:

أ- **الرؤية من الخلف:** يرى السارد في هذه الحالة ما يجري خلف الجدران،و يكون على علم بما يجول في ذهن بطله و ما يشعر به؛ بمعنى ليس لشخصياته الروائية أسرار، فيكون بذلك السارد عارفا بأفكارهم وبرغباتهم المكبوتة، كما باستطاعته سرد أحداث تجهلها شخصية روائية؛ إذن السارد على علم بكل شيء و له حضور في كل مكان، فهو يُخبر المروي له بكل المشاكل التي سيصادفها البطل وتعرقل مساره[1].

ب-**الرؤية مع:** يكون السارد على علم بما تعرفه الشّخصيّة الروائية، إذ لا يُخبر المروي أو القارئ أيّة معلومات، إلاّ بعد أن تتوصّل الشّخصيّة إليها؛ بمعنى هنا أنّ معرفة السارد تكون متساوية مع معرفة الشخصية، و في هذه الرؤية ضمير المتكلّم هو الذي يُستخدم حيث تقوم الشّخصية بنفسها بسرد الأحداث و الوقائع بلسانها و بالضمير أنا، تماما كما في السّيرة الذاتيّة، وهنا تسمى الشخصية ب "الشخصية-السارد"، كما يمكن استعمال ضمير الغائب لكن، بشرط أن تكون معرفة و رؤية السارد و الشخصية الروائية هي نفسها؛ أي يبنيان أحداث القصة على مبدأ واحد، ويسمي البعض هذه الرؤية بالرؤية المصاحبة[2].

ج-**الرؤية من خارج:**السارد هنا تكون معرفته أدنى و أقلّ من معرفة الشخصية الروائية، فهو في موقف وصف ما يراه و ما يسمعه لا أكثر، بمعنى آخر يروي الأحداث التي تحدث في الخارج ؛ أي لا يعلم بما يدور في ذهن و تفكير و أحاسيس الشّخصيّات، ولا

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، ص 76-77، بتصرف.

[2] -المرجع نفسه ، ص 79، بتصرف.

العلاقات الموجودة بينها، فهو يجهل مشاعر و رغبات البطل، بل إنّ هذه الشّخصيّات هي التي تعرف أكثر منه بكل حالاتها و بكل ما يتعلّق بها[1].

[1]- محمد بوعزة ، تحليل النص السردي، مرجع سابق ، ص 82، بتصرف.

المبحث الثالث

في مفهوم الهامش.

«كما نرى أنّ المستبعدين أو المهمشين اجتماعيّاًلايقدرون على الاندماج في المجتمع أو استيعاب حياته و قوانينه

وفيه لا يشارك المهمش/ المستبعدفي الحياة الاجتماعية أو السياسية في مجتمعه».

-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص91.

-تمهيد:

ارتبط موضوع الهامش بأدب المهمّشين و خطاباتهم، انطلاقا من اللّغة التي من خلالها استطاع الهامشي بوصفه فردا منسيا و منبوذا من طرف المجتمع المركز، أن يعبّر عن المسكوت عنه في ظلّ سلطة، و افتراضات المركز الذي يعدّ عنصرا مهيمنا اجتماعيا، وانطلاقا من دراسة حياة المهمّشين سيتّضح بأنّه لا وجود لهامشي دون أن يكون هناك مركز يقوم بتهميشه، وهذا ناجم من خلال التمييز بين المركز و الهامش.

1-جدل المركز و الهامش:

إنّ المرء لابدّ أن يتأقلم في خضمّ الجماعة التي ينتمي لها، حتى لو كان مختلفا عنها من حيث ثقافته و مبادئه، فهذا المثال لا يستخدمه العقل في الصراع من أجل إثبات الوجود و السيطرة على الضّعيف، أو القبول بالتّهميش[1].

إنّ المُستبعد أو المهمّش اجتماعيا ليس بإمكانه الإندماج في المجتمع، و لا يُمكن له أن يتقيّد بقوانينه؛ بمعنى لا يتفاعل معه لأنّ هذا الأخير لا يعترف بالهامشي كونه ينتمي إلى مجتمع متدنّي[2].

إنّ الباحثين الذين لا يعترفون بأهمية أدب الهامش هم أبناء نسق ثقافي مركزي، و هذا ما صرّح به الغدامي في النقد الثقافي فهذا النسق لا يعترف إلا بما هو متن (رسمي).

وبهذا فالنصوص التي لها مكانة راقية هي التي يقبلها و يختارها المركز كالشّعر ، أمّا النصوص التي يعارضها هي النصوص الهامشية كالمقامة مثلا[3].

بمعنى أن المقامة هي نص هامشي.

---

[1]- مجموعة من الأكاديميين، العين الثالثة ، دار ميم للنشر، الجزائر، ط 1، 2018م ، ص 32، بتصرف.

[2]-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2015م، ص91، بتصرف.

[3]-المرجع نفسه ، ص114، بتصرف.

2- مفهوم الهامش :

2-1-لغة:

يُدرج ابن منظور في قاموس "لسان العرب" أنّ:« الفعل هَمَشَ؛ الهَمْشَةُ: الكلام و الحركة، هَمَشَ و هَمِشَ القومُ فهم يَهْمَشُونَ و يَهْمِشُونَ و تَهَامَشُوا. و امرأة هَمَشَى الحَديثِ، بالتّحريك :تُكثر الكلام و تُجلّب. و الهَمِشُ: السريع العمل بأصابعه»[1].

ومنه فالهامش هو الإكثار في الكلام الذي لا يُجدي نفعان ويكون قولا خاطئا غير صائب؛ بمعنى يكون كلاما ليس في محلّه.

أما في المعجم الوسيط فنجد أنّ الهامش :« هَمَشَ الرّجل –هَمْشَا: أكثر الكلام في غير صواب. و – القومُ: تحرّكوا. و – الجرادُ: تحرّك ليثور. و – الشيءَ – هَمْشًا: جمعه.

همَّشَ الكتاب : علّق على هامشه ما يعنُّ له.الهامِشُ: حاشية الكتاب . و فلان يعيش على الهامش : لم يدخل في زحمة من النّاس. الهَمِشُ: السريع العمل بأصابعه . الهَمْشَةُ: الكلام و الحركة . و – الاختلاط. الهمْشَى من النّساء: الكثيرة الجلبة»[2].

ويُقصد به هنا أنّ الرّجل إذا هَمَشَ هَمْشًا معناه أصبح يتحدّث حديثا غير نافع و خاطئا، و همَش قوم ما تحرّكوا.

و الهامِشُ هو الكلام الذي يوضع على هامِشِ أو حافة الورقة لكتاب معين، أمّا إذا قلنافلان ما يعيش على الهامِش معناه إنسان يعيش منعزلا عن النّاس، و لا يعترف به المجتمع، وهو منبوذ من قبل المركز، و لا يخضع لسلطته و لا لقُيوده بل و يعيش و يرتاد الأماكن التي تقع على هامِش المدينة، كما ينتمي إلى مجتمع دنيء.

هناك تعريف آخر للهامش و قد صرّحت به هويدا صالح قائلة: « بأنّ بعض الباحثين لم يجدوا له جذرا في اللّغة العربية لذالك استعانوا بالمعجم الفرنسي ومن بين هؤلاء

---

[1]–ابن منظور،لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، مج 6،دط، د ت ،ص438.

[2]–مجمّع اللّغة العربية، معجم الوسيط ، مكتبة الشّروق الدوليّة ، ط4 ، 1425هـ – 2004م ، ص1024.

نجدأحمد شراك في ملف أعدّته مجلّة "آفاق" يقول: «حسب المعجم الفرنسي إنّ الهامش يأخذ دلالات متعدّدة حسب السيّاق و الإستعمال و زاوية النظر، فهو المساحة البيضاء في محيط النص المخطوط أو المطبوع، {...}كما نقول على هامش الشيئ أو الحدث أي خارج عنه، غائب عن معطياته، و نقول يعيش في الهامش أي يعيش بدون مراعاة المجتمع، أو أن يكون مقبولا من المجتمع، كما أنّ الهامش يرادف الحاشية أو الإحالة في الكتابة، وقد يعني أيضا مجالا للسّلطة، كما هو الشّأن بالنّسبة لهامش الورقة أو الدّفتر المدرسي»[1].

بمعنى أنّ هويدا صالح في كتابها " الهامش الاجتماعي في الأدب" أكّدت بأنّه هناك فئة من الباحثين لم يجدوا جذر هذا اللّفظ– الهامش– في اللّغة العربية، لذلك بحثوا عنه في المعجم الفرنسي، وكان الباحث المغربي أحمد شراك من بين هؤلاء فقد قال بأنّ الهامش في هذا المعجم لديه دلالات عدّة من حيث استعماله و معنا لأنّه يمثّل مساحة بيضاء في متن النص المخطوط أو المطبوع، و هامش شيء ما أو حدث ما يعني الخروج عن وقائع ذلك الحدث، أو قوانين ذلك الشّيءو عدم التقيّد لمعطياته.

أمّا بالنّسبة للّذي يعيش في الهامش؛ فيعني أنّ هذا الشّخص يعيش منعزلا على هامش المدينة بعيدا عن المجتمع، ولا يعترف به المركز بل ينبذه ولا يتقبّل آراءه، إضافة إلى ذلك،فإنّ الهامش يرادف الحاشية هذا يعني أنّه كلام يوضع في حافة أو أسفل صفحات الكتاب، لشرح فكرة ما أو الإحالة إلى مصدر اقتناء الباحث معلوماته، وقد يعني كذلك مجالا للسّلطة ويُقصد به هنا أنّ الهامش مساحة و ملك الكاتب، وهي هامش أو حافة الورقة فله سلطة إضافة ما يشاء من معلومات.

[1]–هويدا صالح ، الهامش الاجتماعي في الأدب ، رؤية للنّشر و التّوزيع ، القاهرة، ط1 ، 2015م، ص39– نقلا عن أحمد شراك،"الهامش،الهامشي و الأدب"، مجلة آفاق، المغرب، 2010 م ، ص53.

2-2-الهامش اصطلاحا:

تقول هويدا صالح: « لقد أطلق الهامش أول ما أطلق كمصطلح يشير إلى جماعة بشرية، و حركة تقف على يسار المركز، و تتمرّد عليه في الغرب، فقد ظهرت مجموعات كثيرة تسمى بالهامشيين أو الحركة الهامشية»[1].

وهذا يعني أنّ الهامش في مفهومه الاصطلاحي كما أقرّت هويدا صالح لفظ يُطلق على فئة من البشر المتمردين، التي كانت ضدّ افتراضات، و سلطة المركز فلم تتقبّل ثقافتها الرّسمية، فشكّلت هذه الجماعة ثقافة خاصة لها وهي ثقافة هامشية مضادّة، تعكس المجتمع المركزي فسمّيت هذه المجموعة بطبقة الهامشيين، أو الحركة الهامشية لكونها تعيش على هامش المدينة .

3-الهامش كمصطلح أدبي:

إنّ البحث في معنىالهامش سيحيلنا إلى التعرّف على الأسباب التي ساهمت في شيوعه كمصطلح أدبي، فقد أكّدت هويدا صالح أنّ مجدي توفيق يرى أنّ سبب ذلك هو: « انتشار ظاهرة الجماعات الإسلامية في المجتمع المصري من منتصف السبعينات إلى بداية القرن الحادي و العشرون في مدى ربع قرن كامل، ليس من جهة أدبياتها و أفكارها المعلنة، بل من جهة التحليل الذي اعتمدته الثقافة المصرية لها، ذلك أنّ التحليل ظلّ لوقت طويل يرى هذه الظاهرة نتيجة لإخفاق النظام السياسي في منح طبقات المجتمع العناية السليمة، ووقوع جزء كبير من المجتمع المهمل المظلوم تحت ثقل أزمات اجتماعية حادة ناشئة عن {...} و قلّة الخدمات التعليمية و الصحيّة و الثقافية و الاجتماعية بوجه عام، و إخراج هذا الجزء الأعظم من المجتمع من دائرة القرار السياسي، و هذه كلّها أركان صالحة لصفة التهميش»[2].

---

[1]-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنّشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2015م، ص47.

[2]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنّشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 2015م، ، ص55- نقلا عن مجدي توفيق ، الثقافة السائدة و الاختلاف ، مؤتمر أدباء مصر، أدب المهمّشين، ص67.

إذن صرّح مجدي توفيق أنّ مصطلح التهميش ذاع صيته لأسباب عدّة، أولها انتشار تلك الجماعات الإسلامية في المجتمع المصري، و ذلك انطلاقا من منتصف السبعينات إلى بداية القرن الحادي و العشرين ، ولم يكن هذا الانتشار من ناحية آداب أو طريقة تفكير هذه الجماعات، و إنّما يكمن في تحليل هذه الظاهرة التي نتجت عن إهمال النظام السياسي في تحقيق كل السّبل المعيشية المتاحة لها، من كل النّواحي الصحيّة ، الثقافية ، الاجتماعية، و الخدمات التعليمية فقد أصبح مجتمعا مهملا و مظلوما ومنفيا من دائرة القرارات السياسية، وكل هذه الصفات السّلبية ترتبط بجوهر التهميش و حالة المهمّشين.

إنّ السبب الثاني في شيوع التهميش كمصطلح أدبي، هي أفكار العولمة و ما بعد الحداثة التي ثابرت في التصدّي لبروز كيانات كبرى جديدة وسعت إلى تفكيكها إلى شعوب صغيرة، و هذا ما شكّل توسعا في مساحة التهميش، وفي حدود السبعينات عرف المجتمع المصري صحوة غيّرت مسار الشخصية المصرية، و هذا التحوّل أبهر علماء الاجتماع فأحدثوا جدلا عن هذا التغيّر المفاجئ، وكان البعض يفسّر هذا الانقلاب بالعامل الاقتصادي و عصر الانفتاح الذي فجّر وعيهم، فانزاحوا عن الفكر الاشتراكي و اعتمدوا بنظام رأس المال، و ذلك بتدفّق سلع و شركات سُيّاح الغرب على مصر، و هذا ما أدى إلى تغيّر سلوك المجتمع المصري، و هذا ما أثبته جلال أمين الذي اعتبر الانفتاح الاقتصادي كتفسير لهذا التغيّر[1].

كان وراء شيوع موضوع المهمّشين السّرد الذي يُعدّ من أبرز الأشكال الفنيّة، التي باستطاعته تَبَنّي مثل هذه القضايا التي بدأت ترفع صوتها قصد الدّفاع عن هويّتها، فقد تلقّت مسائل هؤلاء –المهمّشين– اهتماما كبيرا كونه مطلب ثقافي في دول الشمال و الجنوب.

4–الكتابة الهامشية قديما:

إنّ الكتابة الهامشية في العصور القديمة كانت تضاف إلى النص الأدبي في أسفل الصفحة، و ذلك قصد إعطاء تفسير للمتن في كثير من مناحيه اللّغويّة ، الدلالية، التاريخية،و الاصطلاحية، كما أنّها تُعد نصا مستقلا قائما بذاته بالرّغم من أنّها تتموقع في

[1]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة ، ط1، 2015م ، ص55، بتصرف.

الهامش، فهي- الكتابة الهامشية- تُكوّن نفسها انطلاقا من هذا الأخير- الهامش- فيها يمكن التعبير عن ما لا يستطيع أن يُعبّر عنه النص.

لقد وصف أحمد شراك هذه الكتابة بأنّها نوع من الانزيّاح و الخروج من سلطة الكتابة المركزية، إنّها نوع من التعبير تمارسه الكتابة في هامشها بعيدا عن قيود المركز، فهي تعبّر بشكل قوي عن المسكوت عنه أو ما لا يذكره النص في صلبه[1].

5-أنواع الهامش:

إنّ الهامشية كوضعية للهامشيين نوعان كما حدّدتها هويدا صالح في كتابها "الهامش الاجتماعي في الأدب" و هي كالتالي:

أ-**هامشية إرادية:**و تكون من اختيار الفرد بإرادتهم و رغبتهم، و ذلك هروبا من نمط عيشهم القاسي و شظف الحياة عندهم.

ب-هامشيّة مسلّطة: وهي تنتج من التمييز الاجتماعي و يكون باستبعاد الآخر لاختلاف رُؤاه، و عدم تماثله لما يسلّط عليه المركز من افتراضات و اِلتزامات، فينفيه و لا يُعطي له أيّة أهمية، و لا اعتبار فيتمرّد هذا الأخير(الفرد) و يعيش على هامش المدينة، فينبذه المجتمع؛ لأنّهعارض ثقافة المركز و أصبح ضدّه.

و هذا ما أدى باللّذين ينتمون للهامش و ينتسبون له أن يقترحوا رؤية نظرهم، و تصوراتهم التي تعكس ما يقترحه المركز هذا المستعمر و المهيمن الاجتماعي، و السّياسي الذي شكّل كرها للشّعب و سلّط عليهم ثقافته و تعبيره[2].

[1]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، مرجع سابق ، ص40، بتصرف.

[2]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب ، ص48، بتصرف.

6-لغة الهامش و الكتابة الهامشية:

إنّ اللّغة لها علاقة في التعبير عن الهامش، بحيث أنّ كتّاب الهامش يقومون بتكسير مركزية و سلطة اللّغة انطلاقا من اللّفظة أو الكلمة؛ لأنّ اللّغة التي يستخدمها أدب الهامش هي بمثابة صورة تمثّل الخروج على الثقافة الرّسميّة، فهي لغة لا تليق بالأدب فتصبح بذلك محيطا اجتماعيا يعيش على جَنَب المركز.

ومن هنا تتضح الكتابة الهامشية التي تتحدى الكتابة المركزية المهيمنة و المسيطرة على الذّوق العام و الكلمة، لتبحث عن صوتها الخاص بها الذي ألفته و اعتادت عليه، و هذا يدلّ على أنّ الكتابة فعلٌ لتهميش الذّات الاجتماعية؛ بمعنى أنّ لغة هذه الأخيرة – الكتابة الهامشية– هي لغة المُستبعد من قِبَلالمركز، أي هي لغة دنيئة سوقية عامية تعكس لغة الأدب النظيف لذلك ينبذها المجتمع، لأنّ المهمّشون وقفوا موقفا معاديا للسلطة الرسمية، رفضوا ثقافتها فوجدوا اللّغة كفرصة للسّخرية بالمركز و مآلاته (قوانينه)[1].

إنّ الرّغبة في معرفة و كشف عالم المهمشين، يقتضي دراسة لغتهم باعتبارها تمثّل إحدى السّبل أو مرجعية للرّد على الثقافة الرسمية، لذلك نجد كتّاب الهامش يدعون إلى ضرورة البحث في الخطاب الهامشي، انطلاقا من لغته الهامشية الصّادمة[2].

إنّ من سمات لغة المهمشين كونها سلوكا لغويا، هو إبراز الفرق بين المعلن و المسكوت عنه بطابع نقدي لاذع في شكل خطابات، و هذا ما يحدّد مميّزات لغة و تعبير الفئة المهمشة وهذه الخطابات التي تقوم بها هذه الجماعة تمكّنهم على تغيير مكانتهم من الهامش إلى المركز(المدينة)، وردّ الاعتبار له كونه كان منسيا.

عندما نتحدّث عن لغة المهمشين لا نقصد لغة كتّاب الهامش فقط، فمثلا عندما نطّلع على "ألفّ ليلة و ليلة" نجد فيها صوت الشّعب، أنّها مجهولة المؤلّف كما أنّ نصوصها تزخر بلغة الهامش الصّارخة التي تتّسم بالجرأة.

---

[1]-هويدا صالح ، الهامش في الأدب الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص 250-251، بتصرف.

[2]- المرجع نفسه، ص252، بتصرف.

إنّ لغة الهامش لا تتميز بإعلان الفرق بين ما هو معروف مألوف، و ماهو مخفي و مسكوت عنه فقط، و إنّما تتسم كذلك بالمزج بين اللّغة العامية و الفصيحة، كما تعتمد على الشفاهية و اللّهجة المحلية[1] .

[1]–هويدا صالح، الهامش الاجتماعي، مرجع سابق، ص25–254، بتصرف.

الفصل الثاني

موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش.

« وأصبحْتُ فَارِغَ الفِنَاءِ. صِفْرَ الإنَاءِ. مَالِي إلاَّ كَآبَةُ الأسْفَارِ.وَمُعَاقَرَةُ السِّفَارِ. أُعَانِي الفَقْرَ. وأُمَانِي القَفْرَ. فِرَاشِي المَدَرُ. وَ وِسَادِي الحَجَرُ».

محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص33.

المبحث الأول

موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش

« قدرة الهامش على التكلم هي محاولة لإدراك مدى قدرة هذا الغائب أن يسمع صوته من داخل الغياب».

هويدا صالح ، الهامش الاجتماعي في الأدب ، ص26.

تمهيد:

تعتبر المقامات فنا أدبيا تتناول في طياتها وضعيات المهشمين من نواحي مختلفة، سواء من حيث العرق،أو الحالة الاجتماعية حيث كشفت و فضحت إقصاء و نبذ الهامشي من قِبل المركز، و عبّرت عن المسكوت عنه و عن تجليات الهامش، و حالة الهامشي الغير مرغوب فيه في المجتمع، ومن بين المقامات التي عالجت موضوع الهامش و تجلياته المقامة الجرجانية و الوصية.

-موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش:

-1-الكدية و التسوّل(الشحّاذة) في المقامة الجرجانية:

أ-تسميتها:

سميّت بالمقامة الجرجانية لأنّ أحداث القصة جرت في بلد جرجان الذي ارتحل إليه أبو الفتح الإسكندري متجوّلا ليحتال و يشحذ، و هذا ما دفعه إلى تسمية مقامته باسم بلد، و يتضح ذلك من قول شوقي ضيف:«{...}إذ يظهر أبو الفتح الإسكندري في شكل أديب شحّاذ يخلبُ الجماهير ببيانه العذب، و يحتال بهذا البيان على استخراج الدّراهم من جيوبهم، و هو يتراءى بهذه الصورة في بلدان مختلفة، و لعلّ هذا ما دفع بديع الزمان إلى أن يسمي المقامات بأسماء البلدان، و معظمها بلدان فارسية»[1].

لذلك نجد معظم مقامات البديع تحمل أسماء بلدان.

[1]-شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل- القاهرة، ط3،1973 م ، ص6.

ب-ملخص المقامة:

في هذه المقامة يُحدّثنا عيسى بن هشام عن قصة، أو مغامرة حدثت في جرجان حين اجتمعوا يتحدّثون فيما بينهم جاءهم رجل غريب الأطوار ليس طويلا، و لا قصيرا تغمر وجهه لحية كثيفة كما تظهر عليه ملامح الجوع ، يلبس ثيابا بالية سلّم عليهم و سلّموا عليه، ثم أخذ يُخبرهم بأنّه رجل من أهل الإسكندرية له زوجة وولد، و قد أصبح فقيرا محتاجا و بأنّه من أهل إصلاح يحتاج إلى عطاء الناس.

فبدأ يشكي لهم همّه بأنّ الزمن قد خدعه و انقلب عليهن فأصبح يسهر بدل أن ينام، و يُسافر بدل أن يُقيم في بيته يتجوّل، و يتسوّل في الصحاري يُصبح و يُمسي و لا يجد وقتا للراحة، فأصبح دون مأكل و دون مأوى فِراشه من تُراب ووسادته من حجر، و بأنّه لا يزال في الغربة إلى أن وصل إلى بلاد حجر، فاستقبله أُناس همذان و أعطوه ما يحتاج من النّعم.

و بعدها خرج منها باتجاه الممالك هذه المرة يتسوّل بزوجة و أولاد ليسوا له، و بدأ يدّعي بأنّه رجل فقير محتاج إلى الأهل قتله الفقر و قست عليه الحياة، فبدأ يُخاطبهم بأقوال شعرية و بعبارات منمّقة تأخذ العقل، فقد قال عيسى بن هشام بأنّ كلماته و ألفاظه لطيفة ترقّ لها القلوب، فشفق عليه و أعطوه ما يملكون شكرهم و حمد الله عليهم ثم انصرف، لاكن عيسى بن هشام تبعه و لحق به و حلف بأنّه أبو الفتح الإسكندري.

-ج-طبيعة الموضوع في المقامة الجرجانية:

هذه المقامة ذات موضوع قصصي يدور حول أسلوب من أساليب المكدّين، هذا الموضوع يتمثّل في التسوّل أو الشحّاذة و الإستجداء، يدور فيه الحوار بين شخصيتان خياليتان هما عيسى بن هشام الراوي الذي يروي و ينقل أحداث القصة أو المغامرة، و أبو

الفتح الإسكندري البطل الذي يبتزّ و ينتزع أموال الناس عن طريق استخدام الخدعة رغبة في جمع المال، بسبب قسوة الحياة الاجتماعية عليه، فالمال كان من بين الأغراض التي يسعى إليها البديع في مقامته؛ لأنّه يمثّل الأساس في عصره[1].

يظهر أبو الفتح الإسكندري في هذه المقامة في صورة أديب يشحذ، و يسلب عقول السامعين بألفاظه العذبة المسجوعة، فيحتال عليهم باختراع كذبة لهم فيستخرج المال من جيبهم و هنا تكمن المتعة.

نجد أنّ موضوع المقامة صاغه البديع على شكل نثر مزجه بأبيات شعرية يمدح فيها أهل جرجان، و هذا يدلّ على أنّ النثر زاحم الشعر الذي يعد لسان المديح في عصر الهمذاني، فالنّثر هنا يمثّل الهامش أما الشعر فيمثّل المركز وهذا يتجلى في مقامات الهمذاني.

وفي هذه المقامة بديع الزمان قال المدح نثرا و شعرا بفصاحة حتى يلعب بعقول الناس، فغايته أن يصوغ ألفاظا لها نغمة موسيقية يصبغها بألوان فنيّة (السجع، الجناس) التي كان يُعجب بها عصره.

نجد البطل يقف موقف الشعراء المتكسّبين يمدح أهل همذان و جرجان بكلمات أخّاذة، فيمدّ يده و يعطونه ما يملكون، و يكمل طريقه إلى بلد آخر.

المقامة تبدأ بهذه الصيغة(حدّثنا عيسى بن هشام قال:)، التي تدلّ على أن البديع حاول أن يُقلّد طريقة ابن دريد الذي يبدأ أحاديثه بالسّند[2].

إذ نجد الحصري يقول:

« لما رأى أبا بكر محمد بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثان و ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، و انتهجها من معادن فكره، و أبداها للأبصار و البصائر، و

---

[1]–حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط1، 1986م، ص625–627، بتصرف.

[2]– شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل – القاهرة، ط3، 1978م، ص24، بتصرف.

أهداها إلى الأفكار و الضمائر في معارض عجمية، و ألفاظ حوشية{...}عارضه بأربعمائة مقامة في الكدية، تذوب ظرفا، و تقطر حسنا»[1].

هذا إذن ما يُثبت تأثّر البديع بابن دريد.

-د- الشخصيات في المقامة الجُرجانية:

تدور القصة حول شخصيتين خياليتين عيسى بن هشام الراوي الذي ينقل أحداث القصة، و الذي يتعجّب من سلوك البطل، ومن جهة أخرى يُشفق عليه، و الزوجة و الأولاد شخصيات مساعدة التي رافقت البطل في مساره القصصي، و أبو الفتح الإسكندري البطل الذي يظهر أديبا عظيما، و شحّاذا و متسوّل ماكر في صورة رجل ليس طويلا و لا قصيرا، يتسوّل بأسلوب يُغري السامع و يُؤثّر فيه، فنجده يفتخر بنفسه بحركة قصصية فنية معتمدا على جمل قصيرة تُلهم و تحرّك المشاعر، تجعل المقامة تكتسي سيمة مسرحية بطابع يُبهر النّفوس[2].

ويتضح ذلك في قوله مفاخرا في مقامته الجرجانية: « يا قومُ إني امرؤ من أهل الإسكندرية، من الثّغور الأموية، نَمَتْنى سُليمُ و رَحَّبَتْ بي عبسٌ، جُبْتُ البَدْوَ و الحَضْرَ، و دَارَيْ ربيعةَ و مُضَرْ، ما هُنْتُ»[3].

نجد كذلك يستخدم وسيلة لغوية درامية من خلالها يصل هدفه في جمع المال حين يقول: « قبلني أحياؤها، و اشْرأبَّ إليّ أحبَّاؤها، و لكني ملتُ لأعظمهمْ جَفنَةً و أزهدهمْ جَفوةً»[4].

في هذه المقامة لما يفتخر البطل بنفسه، يتلقى السامع في حدوده خبرا صاعقا يثير الشّفقة حيث يُعطي البطل الصورة النّفسية للمُكدي، يُبرز من خلالها ملامح ساخرة

---

[1]-شوقي ضيف، المقامة، مرجع سابق، ص17.

[2]-المرجع نفسه، ص24، بتصرف.

[3]-محمد محمود، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مطبعة السعادة ، مصر، ط3، 398 هـ ، ص32.

[4]-المرجع نفسه ، ص34.

لشخصيته من خلال ما يعيشه في حياته الاجتماعية، فهو يشكو الفقر كما تظهر صورة التّشاؤم في شخصيته: « فانظُرُوا رَحمكُم اللهُ لنقض من الأنقاضِ مهزولٍ. هدّته الحاجة. و كدّته الفاقةُ»، « وأصبحتُ فارغَ الفنَاء. صفرَ الإناءِ. إلاّ كآبة الأسفار . و معاقرةُ السّفارِ. أُعاني الفَقرَ. و أُماني القَفْرَ. فراشي المدرُ. و وِسادي الحَجَرُ»[1].

وهكذا ينتهي موضوع المقامة في الأخير بفعل التأثّر الذي يقود إلى استخراج المال من جيوب الناس، و يتضح ذلك من خلال قول عيسى بن هشام الذي أشفق على أبو الفتحالبطل رغم تعجبه من سلوكه، ويظهر ذلك في المقامة الجرجانية: « فَرَقَّت و اللّهِ لهُ القُلُوبُ. و أغرَ و رقَّتْ لِلُطفِ كلامه العيونُ. و نلناه ما تاح في ذلك الوقتِ»[2].

-هـ-المكان:

نجد في المقامة الجرجانية ذِكر لاسم بلد هو جرجان المكان الذي وقعت فيه أحداث المغامرة، حيث نجد حنا الفاخوري يقول:«{...}و يجري في إطاره الجغرافي حول ما يُشبه الرحلات من بلد إلى بلد»[3].

هذا يعني أنّ البديع يُجري أحداث قصصه في إطار جغرافي يتمثّل في الرحلة، و التجوّل من بلد إلى بلد آخر يرصد ملامح الحياة و قضايا العصر العباسي، فيُسمي مقامته باسم ذلك البلد الذي يتجوّل فيه.

-و-الطابع الساخر في المقامة الجرجانية:

إنّ كل من تصفّح مقامات بديع الزمان يتراءى له من خلال دراستها نوعا من الدعابة بطابع ساخر، وتظهر ملامح السّخرية في المقامة الجرجانية في:

-أ-**شخصية البطل:** تارة يعطي له شخصية شاب و تارة أخرى قصير، طويل كما يُظهره بأنّه ذكي واسع الحيلة، و أحيانا أديب مُثقّف و شحّاذ، و أحيانا أخرى رجل يسعى

---

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مرجع سابق ،ص 33.

[2]- مرجع نفسه ، ص35.

[3]-حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 1986م، ص625.

للحصول على المال، كل هذه الصوّر هي نماذج اِستقاها من المجتمع العباسي، حتى يبيّن و يضخّم عيوب هذا المجتمع، فكان في كلّ مرة يستهزئ و يسخر انطلاقا من شخصية أبو الفتح الاسكندري.

-ب-القصة أو الحادثة التي تحدث للبطل: يُؤلّف البديع لمقامته قصة أو حادثة مزيفة خيالية، يسخر فيها بشخصية أبو الفتح انطلاقا من العقدة التي تحدث للبطل و يتضح ذلك في المقامة الجرجانية: « وقد هبّت بي إليكم ريح الاحتياج. و نسيم الإلفاج. فانظروا رحمكم الله لنقضٍ من الأنقاض مهزولٍ. هدّته الحاجة. و كدّته الفاقة»[1].

-ج-الكذب، الاحتيال، و الخُدع:هو أمر كان في المجتمع العباسي خلال القرن الرابع، لذلك نرى البديع من خلال مقاماته يتّخذ شخصية البطل حتى ينقد هذا المجتمع، بطابع السخرية و الاستهزاء فيظهر أبو الفتح محتالا ذكيا و كذّابا بارعا، يختلق كذبة تُؤثّر علىالسامع فتُغري القلوب و يستخرج المال من جيوب الناس، و يظهر ذلك في المقامة الجرجانية: « قال عيسى بن هشام: فرقّت و الله له القلوب. و أغرَ و رقّت للطفَ العيونْ. و نلناه ما تاح في ذلك الوقت[2]».

-د-الدراما: يُبرز البديع صور و ملامح ساخرة لشخصية أبو الفتح الذي يشكو الفقر، إذ يستخدم وسائل لغوية درامية، إذ يتلقى السامع في حدودها أخبارا تُثير الشفقة، و ذلك حتى يُوضح الحياة المعيشية في العصر العباسي بشظفها بطابع السّخرية، و ذلك يتضح في المقامة الجرجانية: « ثم إنَّ الدَّهْرَ ياقوْمُ قلب لي من بينهم ظهر المحنِ. فاعتضتُ بالنّوم السّهرَ. و بالإقامةِ السفرَ. تترامى بي المرامي. و قلعتني حوادث الزّمن قلع الصّمغة. فأُصبحُ وأُمسي أنقى من الراحة. و أعزى من صفحة الوليد»[3].

هنا نلمس التمثيلية التي يقوم بها البطل.

---

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 398هـ ، ص35.

[2]-المرجع نفسه ، ص35.

[3]-المرجع نفسه ، ص33.

-1-1- العناصر الفنيّة للمقامة الجُرجانية:

أ-البناء:

يُمثّل طريقا هاما تعتمد عليه القصة للوصول إلى هدفها باعتمادها على التّشويق، أما في المقامة فهو شبه مفقود – التشويق- بل يكمن اهتمامها في المادة العلمية، و البطل فيها يكون صاحب عِلم، و الحيلة التي يقوم بها و الفكاهة التي يصنعها ما هي إلاّ مفتاح الابتعاد عن دهاليز علمه(الطريق الضيق الطويل).

يظهر ذلك في المقامة الجُرجانية إذ يستخدم أذكى الحيل في التسوّل و الشحّاذة، و أسلوبه في انتزاع المال هو الطابع الذي يشكّل الفكاهة في مقامته، إضافة إلى غياب المقدمة البنائية في هذه المقامة، و هناك حُضور بارز للمقدمة التقليدية(حدّثنا عيسى بن هشام قال {...})، بعدها يليها مباشرة ذكر السّفر و التجوّل و هو مسلك من خلاله يصل السامع إلى البطل.

أما العقدة فيكون الحلّ في المقامة تلك المفاجآت في خاتمة المقامة، الذي يكون بنجاح حيلة من الحيل أو خُروج من مأزق ما، أو اكتشاف كذبة البطل مثل: اكتشاف عيسى بن هشام لشخصية الشحّاذ في المقامة الجُرجانية بعدما لحق به بأنّه أبو الفتح الاسكندري[1].

ب-الأسلوب: اعتمد الهمذاني في مقامته أسلوب النّثر المنمّق الذي يعجُّ بالسجع، و الألفاظ الغريبة الذي يقوم على العبارات الموجزة، و السّريعة فيها نغما موسيقيا صبغها بنوع من التشبيهات، الاستعارات، الكنايات، و الجناسات كما أنّ كلامه كلّه فيه مجاز[2]،

من هنا نفهم أنه:

---

[1]-حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط1، 1986م، ص621، بتصرف.

[2]-المرجع نفسه ، ص729، بتصرف.

اضافة إلى ذلك تتسم هذه المقامة بعبارات قصيرة، أما من ناحية البديع فعادة ما يعتمد عليه فهو خفيف رشيق بعيد عن التكلّف، فيُنوّع فيه و يُفصّل ما بينه بفواصل السؤال و الجواب التي تتوالى بسرعة، و يظهر ذلك في المقامة الجُرجانية: « مالي إلاّ كَآبَةُ الأَسْفَارِ. و مُعَاقَرَةُ السّفَارِ. أُعَانِي الفَقْر. و أُمَاني القَفْرَ»[1].

ج-الوصف:

وظّف الهمذاني في مقامته الوصف في عبارات قصيرة سريعة، و هذا ما أكّده زكي مبارك قائلا: « و الوصفُ من الفنون المقصودة في مقامات بديع الزّمان، و هو يعتنّ فيه من موضع إلى موضع»[2].

وهذا ما نلحظه في المقامة الجُرجانية: «{...}إذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلُ لَيْسَ بالطَّويل المُتَمَدّد، و لا القَصير المُتَرَدّدِ»[3].

-د-الجمع بين النّثر و الشّعر:

مزج البديع بين النّثر و الشّعر في مقامته، و يظهر ذلك في المقامة الجُرجانية:

«{...}فَلَقَد كُنَّا و اللهِ منْ أَهْلِ ثَمٍّ و رَمٍّ. نُرغِي لَدَى الصَّبَاح. و نُثْغي عنْدَ الرواح.

وفيناَ مَقاماتُ حسَانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنديَّةٌ يَنتَابُهَا القَوْلُ و الفعْلُ»[4].

هنا يتضح أن الهمذاني وظف الشعر و النثر في مقاماته.

---

[1]- محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 398هـ ، ص33.

[2]-زكي مبارك، النّثر الفني في القرن الرابع، مكتبة السعادة، مصر ، ط2، جزء1 ، دت ، ص211.

[3]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مرجع سابق ، ص32.

[4]-المرجع نفسه ، ص33.

1- 2-تجليات الهامش في المقامة الجرجانية:

يتجلى الهامش في هذه المقامة في الموضوع وهو التسوّل أو الشحّاذة، و هي صفة و وسيلة أو حرفة بارزة في طبقة الفقراء الدّنيئة، هذه الطبقة الهامشية التي تعاني الحرمان و المنبوذة من طرف الطبقة المركز.

كذلك نجد الهامش في اللّباس البالي المُزري الذي يتنكر به، و يلبسه أبو الفتح عند تقمّصه شخصية شحّاذ، وهو زيّ يخصّ الفئة الهامشية لا نجده في المركز، ويظهر ذلك في المقامة الجرجانية: « فلا يُزرين بي عندكم ما ترونه من سملي و أطماري»[1].

كما يتجلى في الأسلوب الذي ينتزع فيه البطل المال من جيوب الناس(الحيلة و الخدعة)، ويبرز الهامش في اللّغة الدنيئة التي يتلفّظ بها مثل:«كثّ العثنون-زغلولا-أطماري»[2].

-التعبير عن الجسد من تجليات الهامش:

تقول هويدا صالح في كتابها "الهامش الاجتماعي في الأدب": « إنّ التعبير عن الجسد ليعبّر عن الذّات هو سمة من سمات أدب الهامش، فالجسد أحد تمثّلات الذات، وغياب التعبير عن الجسد إنّما يمثّل إقصاء لكينونة الذات، التي تتخذ من الجسد تموضعا لها لتسكنه، فإقصاء الجسد إنما هو تهميش للذات»[3].

هذا يعني أنّ التعبير عن الجسد أو الأنا يُعد مجالا واسعا يفتح آفاق عدّة لتجسيد الذات، و ردّ الاعتبار لها فهي ميزة مرتبطة بما يسمى أدب الهامش، هذا الأدب الذي أجبر الجسد أن يكون أحد تمثّلات الذات، و غيابه يتسبب في إقصاء الأنا و تهميش الذات؛ لأنه يعبر عن كل ما هو مسكوت عنه.

---

[1]- محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مرجع سابق، ص33.

[2]- المرجع نفسه ، ص32.

[3]-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنّشر و التوزيع، القاهرة ، ط1، 2015م، ص231.

الكتابة عن الجسد أمر معروف منذ القديم وقد تجلى في المقامات، و يظهر ذلك في ما قالته هويدا صالح: « كذلك المقامات–بوصفها قصصا– فيها الكثير من الكتابة الجسدية، ففكرتها المحورية التحايل من أجل الحصول على الطعام و الشراب دون تعب، و دون قيم عليا»[1].

هذا يعني أنّ المقامات عرفت في جوهرها الكتابة عن الذات، و هذا ما نلتمسه في شخصية أبو الفتح الاسكندري الذي اتخذ شخصية أديب شحاذ متنكّرا بزي المتسولين، يمارس الكدية بوسائل حيلية إذ يُعبر عن نفسه و ذاته بألفاظ عذبة مشوقة، فيُبهر الجمهور و يُعطونه المال، و هذا يُوضّح أنّه كتب عن ذاته و عن تجربته في عالم التكدّي حتى يعبر عن مجتمعه.

ويتضح ذلك في المقامة الجرجانية: « ياقوْمُ غنّي امْرُؤٌ من أهل الإسكندريَّةِ،منَ الثُّغُورِ الأمويَّةِ، نَمَتْنَى سُليمٌ و رحّبَتْ بي عبسٌ، جُبْتُ الآفاقَ، و تقصّيتُ العراقَ، و جُبْتُ البَدْوَ و الحَضْرَ، و دارَى ربيعةَ و مُضَر ما هُنْتُ، حيث كُنتُ فلا يُزرينَّ بي عندكم ما ترونه من سَمَلِي و أطمارى»[2].

أي الهمذاني عبّر عن ذاته ليعطي لمحة عن مجتمعه.

[1]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب ، مرجع سابق، ص232.

[2]–محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مطبعة السعادة، مصر ، ط1، 398هـ، ص32.

2-(البخل و الكرم) فوائد البخل و مضار الكرم في المقامة الوصية:

أ-تسميتها:

سُميّت بالمقامة الوصية لأنّ أبو الفتح الاسكندري قبل أن يُهيّئ ابنه للتّجارة أوصاهُ قبل سفره، بمجموعة من الوصايا التي استنتجها من عالمه في الكدية و التسوّل، وما يُوضّح ذلك ما قاله طه ندى: « و المقامة الوصية{...}من وجهة أبو الفتح الاسكندري طبعا، فهو يُجهّز ولده للتّجارة و يوصه قبل السّفر بجملة من الوصايا من واقع تَجارُبه في عالم الكدية و معرفته بقيمة المال»[1].

كما أنّ خِطابه الذي قدّمه لابنه فيه خصائص الوصية كالحمدلة و الثّناء على الرسول (ص).

ب-ملخّص المقامة الوصية:

في هذه المقامة يُحدّثنا عيسى بن هشام عن أبو الفتح الاسكندري حين جهّز و هيّأ ابنه للتّجارة، بعدما حمد بالله و أثنى عليه، فقبل السّفر جلس يوصه بمجموعة من الوصايا التي استنبطها من واقع تجربته في الكدية، الاحتيال و معرفته الواسعة بقيمة المال.

فيوصيه أن يستعين بالنّفس القوية الجبّارة باستخدام الحيلة، إذ يطلب منه أن يَشحَّ على نفسه بأن يصوم في النّهار و ينام في اللّيل حتى يتفادى الجوع، و يكتنز المال و نهاه عن الكرم و أن يُسرع في جمع المال؛ لأنّ الشّهوة إلى أكل اللّحم فيها شُؤم كما أنّه عليه أن لا يسمع لأقوال الناس؛ لأنّهم يخدعونه بقولهم أنّ الله كريم؛ لأنّ الكرم لا ينفع ولا يضر كما طلب منه أن يكون عبقريا يستخدم عقله، فيسأله بعبارات سوقية لا تليق إن فهم ما يقصد بلغة ساخرة .

[1]-طه ندى ، الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د ط، ، 1412هـ- 1991م، ص178.

ثم يقول له بأنّ التجارة تُخرج منبع الماء من الحجارة، فهل سيتركها وهي التي تجعل الإنسان غنيا، أم أنّه يريد أن يبقى متسوّلا فقيرا فَيُذكّره أنّ المال لا يُنفقه إلا الذي يملك مالا كثيرا، ثم يسخر منه قائلا بأنّه عليه أن يُوفّر المال ليتحصّل على المأكل و المشرب، و بأنّه لا يراه يأكل اللّحم و بأنّ تناول الوجبات كاملة لا يعيشها إلا الأغنياء، كما يوصيه كذلك بأنّ الأكل عند الجوع أفضل من أن يشبع؛لأنّه إن شبعَ سيُؤدي به إلى الموت و الهلاك.

فهنا نجد أنّ البطل (أبو الفتح) مرة نجده يدعوا إلى الكرم و ترك المال، و مرة أُخرى يدعوا إلى البخل و توفير المال، و في الأخير يختم وصيّته بأن يتعامل مع الناس كلاعب الشطرنج ؛ أي بالحيلة وأن يسلب كلّ ما معهم من أموال و مأكل و مشرب، و أن يَحتفظ و يُخفي كلّ ما عنده هو، ثم يقول لولده في النّهاية بأنّه قد بلّغه فإن أطاعه فالله حسبه، و إن أبى ذلك فالله حسيبه.

ج–طبيعة الموضوع في المقامة الوصية:

تتحدّث هذه المقامة عن موضوع طريف وهو تِبيان محاسن البُخل و مساوئ الكرم، لاكن هذا من وجهة نظر أبو الفتح الاسكندري[1].

ينتقل أبو الفتح في أقواله و غايته من الوصف، الفُكاهة، المتعة إلى موضوع جديد، وهو مجموعة من العضات يَنصح و يُخاطب بها ابنه عندما هيّأه للتّجارة، فدرّبه انطلاقا من ما اكتسبه (الاسكندري) من عالمه، و تجربته في التسوّل و انتزاع المال من الناس باستخدام الخُدع و الفطنة و الذّكاء.

هذا الموضوع القصصي أُريد به كشف عيوب مجتمعه آن ذاك، حيث اتّخذ ابنه كوسيلة ليسخر من أعمال و تصرّفات الناس في المجتمع العباسي خلال القرن الرابع، فقد

[1]- طه ندى، الأدب المقارن، مرجع سابق ، ص179، بتصرف.

أراد البديع أن يُعطي صورة الإنسان الفقير المهمّش الذي قتله الجوع، وأنّ القوم العباسي يتّصف بالبخل و يعمل على اكتناز المال بطرق دنيئة.

في هذا الموضوع نجد أنّ الاسكندري أنشأ خطبة فيها مجموعة من نصائح لابنه، فقد استقى مغامرته تلك و ألقاها على شاكلة الخطب الإسلامية و الدّينية (البسملة و الحمدلة)؛ أي هنا تقمّص شخصية خطيب كي يُظهر أنّ المجتمع العباسي كان لا يتّصف بالكرم، و إنّما يجري وراء توفير المال بالاحتيال و الخدع، و أن الناس حمقى و لئام لا تهمهم الأخلاق.[1]

د-موضوع الشخصيات في المقامة الوصية:

تدور القصة هذه المرة عن شخصية أبو الفتح الاسكندري الذي اتّخذ شخصية الخطيب في إعطاء وصايا و إرشادات لابنه، هذا البطل الخطيب الذي يدعو ولده إلى ترك الكرم، و الاتّصاف بالبخل بُغية انتزاع المال، ربّما أراد البديع من خلال هذه الشخصية أن يسخر و ينقد الخطيب في العصر العباسي، و أنّ عيبه يكمن في أنّه يدعو إلى البخل، و ينهى عن الكرم عكس الخطيب الذي يدعو إلى الإصلاح.

أما الشخصية الثانية فهو الابن الذي اتخذه كسبيل و كضحيّة، ليُمثّل صورة المجتمع العباسي الدّنيئة البعيد عن الأخلاقية، و أنّ الفقر يسود طبقة واسعة من البشر في ذلك العصر، لذلك يقومون بحيل و خدع لكي يعيشوا.

فقد صرّح حنا الفاخوري قائلا:

« وإلى جانب هذه الطّبقة طبقة عامّة من النّاس، التي تعيش في فقر مُدقع، و ذلٍّ مُوجع. تنهشها المجاعات نهشًا، و يمزّق أحشاءها الجوع تمزيقا؛ و قد كثر فيها الاستعطاء و التكدّي، و زال من نفسها الشّرف{...}و تتوسّل بكلّ وسيلة تُبلغ الغاية»[2].

---

[1]- زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط2 ، جزء 1، دت ، ص224، بتصرف.

[2]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1986م ، ص631.

أما عيسى بن هشام فقد روى القصة فقط، و لم يتدخّل في أحداثها كما في المقامات الأخرى.

هـ- المكان:

لم يرد ذكر مكان وقوع أحداث القصة في المقامة الوصية؛ لأن اسم المقامة هذه المرة مأخوذ من الوصايا التي أوصى بها أبو الفتح الاسكندري ابنه .

و-الطابع الساخر في المقامة الوصية:

يظهر الجانب الساخر في هذه المقامة في شخصية أبو الفتح الإسكندري الذي اتّخذ شخصية خطيب، لما كان يُوجّه لابنه مجموعة من الوصايا؛ لأنّ الخطيب يدعوا إلى إصلاح المجتمع لاكن أبو الفتح أظهر عكس ذلك، إذ دعى ولده إلى محاسن البخل و أنّ الكرم فيه مضرّة، و يظهر ذلك في المقامة الوصيّة: « و دَعْنَى مِنْ قَوْلِهِمْ إنَّ اللهَ كَرِيمٌ إنّها خُدْعَةُ الصَّبيِّ عنِ اللّبَنِ»، « ثم كُنْ مَعَ النَّاسِ كَلَاعبِ الشِّطْرِنْجِ. خُذْ كُلَّ ما مَعَهُمْ و احْفَظ كُلَّ ما مَعَكَ»[1].

كما تتجلى السّخرية في اللّغة التي خاطب بها الإسكندري ابنه، و هي لغة دنيئة على شكل نقد لاذع و تهكّم جارح، ويتضح ذلك في قوله:«يابن المشؤومة، يابن الخبيثة، لا أُم لك»[2].

ي-الفطنة، الذّكاء، الوعظ:

إنّ أبو الفتح قدّم مجموعة من العضات حتى ينصح بها ابنه عندما هيّأه للتّجارة، فدرّبه من ما اكتسبهو في عالمه و خبرته في التسوّل،الاحتيال و انتزاع المال باستخدام الفطنة و الذّكاء، وذلك حتى يسخر من أعمال و تصرّفات و تفكير الناس في المجتمع

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 398هـ ، ص157-158.

[2]-المرجع نفسه ، ص158.

العباسي، هؤلاء الذين يتّصفون بالبُخل و يعملون على جمع المال الوفير بطرق دنيئة دون بذل جهد، و يتّضح ذلك في المقامة الوصية: « ثُمَّ كُنْ مَعَ النَّاس كَلَاعب الشِّطْرَنْجِ خُذْ كُلَّ مَا مَعَهُمْ و احْفَظْ كُلَّ مَا مَعَكَ»[1].

2-1- العناصر الفنية في المقامة الوصيّة:

أ-اللّغة:

في هذه المقامة نجد أبو الفتح الإسكندري يُوجّه كلامه لابنه بلغة ذات ألفاظ غريبة، تُغلّفها السّخرية و التهكّم الجارح بطريقة نقدية لاذعة، فيهجوه بكلمات بذيئة دنيئة سوقية هي بصفة عامة لغة الشّارع.

وذلك حتى يُظهر البديع أنّ البطل ينتمي إلى طبقة هامشية، لا يعترف بها المركز و منبوذة من طرف المجتمع، و يتّضح ذلك في المقامة الوصيّة: « أَفهمتهُمَا يَابنَ الخَبِيثةِ، أَفَهمتَهُمَا يَابْنَ المَشْؤُومَةِ»[2].

ب-الأسلوب:

تتميّز هذه المقامة بالنّثر المنمّق الذي يقوم بتضمين الكلام بالأمثال و الألغاز، واقتباس من الآيات و الألفاظ القُرآنيّة،و يتّضح ذلك في المقامة الوصية:« إنَّ اللهَ لَكَرِيمٌ»، « صَلَّى اللهُ عَلَى سَيّدنَا مُحَمَّدٍ وَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعينَ»[3].

هذا المثال يمثل إقتباس.

---

[1]- محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، ص158.

[2]- المرجع نفسه ، ص156-157.

[3]- المرجع نفسه ، ص157-158.

كما استخدم الأمثال و الألغاز ويتضح ذلك في : « إنَّمَا التّجَارَةُ تَنْبطُ منَ المَاءِ الحِجَارَةُ»، مَثل.«ثُمَّ كُنْ مَعَ النَّاسِ كَلَاعبِالشِّطْرَنْجِ»[1]، لُغز.

وظّف أبو الفتح كذلك أسلوب النّداء في مخاطبة ابنه بجملة من الوصايا: « يَا بُنَيّ إنّي و إنْ وَثِقْتُ بمَتَانَةِ عَقلكَ»[2].

ج-الوصف:

استخدم البديع في هذه المقامة الوصف للتّعبير و كشف عُيُوب مُجتمعه في ذلك الوقت، من حِيل و خُدع و ذكاء، يظهر ذلك في المقامة الوصية: «{...}فَإنِّي شَفيقٌ و الشَّفيقُ سَيّئُ الظَنِّ»[3].

د-التكرار:

كرّرّ أبو الفتح بعض الأقوال لمّا كان يُخاطب ولده بلغة بذيئة سوقية، ذلك حتى يصف لغة الهامشي الدّنيئة و تتمثّل هذه الكلمة في :« أَفَهمتَهُمَا يَابْنَ{...}»[4].

2-2-تجليات الهامش في المقامة الوصيّة:

يتجلى الهامش في المقامة الوصيّة في موضوع المقامة فوائد البُخل و مضار الكرم؛ لأنّ أبو الفتح دعى ولده إلى البُخل و أنّ في الكرم مضرّة.

---

[1]- محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مرجع سابق، ص158.

[2]- المرجع نفسه ،ص156.

[3]-المرجع نفسه، ص156.

[4]-المرجع نفسه، ص157.

كما يتجلى في اللّغة التي خاطب بها الإسكندري ابنه، هي لغة بذيئة دنيئة لا تليق بالأدب، هي لغة الشارع،« هي لغة الكتابة الجدارية كما وصفتها هويدا صالح »[1].

يتّضح ذلك في قول أبو الفتح الاسكندري: « يَابنَ الخَبيثَةِ ، يَابنَ المَشْؤُومَةِ»[2].

يتضح كذلك الهامش في سخرية أبو الفتح من ابنه لما قال له: « و اللَّحمُ لَحمُكَ و مَا أَرَاكَ تَأكُلُه »[3]. وهذا حتى يوضح بأنّ الفقر و الحاجة إلى الأكل كان سائدا في المجتمع العباسي.

إنّ السّخرية هي آلية من خلالها يتمُّ إدراك العالم و التقرّب إلى الحقيقة، و هي طابع يُمارَس من خلالها نقد المُجتمع سياسيا، أخلاقيا و هي تنتمي إلى الأدب السّاخر الذي مثّل في فترة من الفترات أدبا هامشيا، و الذي تعتبره المؤسّسة الأدبية أدبا تهكّميا غير مؤهّل أن يتغلغل في الموضوعات الجادة[4].

بمعنى أنّ السّخرية تمثّل الهامش، و هي نموذج ورد كثيرا في مقامات الهمذاني.

---

[1]–هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب،، رؤية للنشر و التوزيع،القاهرة ، ط 1، 2015م ، ص48.

[2]-محمد محمود الرافعي، مرجع سابق ، ص158.

[3]- المرجع نفسه ، ص158.

[4]- بن علي لونيس، تأليف مجموعة من الأكاديميين، تطبيقات في النقد الثقافي و ما بعد الكلونيالي، دار ميم، الجزائر، ط 1، 2018م،ص 164، بتصرف.

3-موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش:

إنّ المقامات كجنس نثري أدبي الذي اتّخذ من المهمشين وعن المحتالين وأهل الكدية موضوعا له، كما تشتغل المقامات في البيئات المهمشة، وتعني بالفقراء والمتسولين على هامش المجتمع، ومن بين المقامات التي ارتبطت بموضوعات الهامشيين نجد: المقامة البغدادية والكوفية.

3- 1-الاحتيال في المقامة البغدادية:

أ_ تسميتها:

سميت بالمقامة البغدادية لأنّ أحداث القصة وقعت في بغداد، و ذكر اسم بغداد في مقامته و تتضح في قوله: « اشتَهَيْتُ الآزَادَ. و أنا ببغداد»[1].

ب- ملخص المقامة:

يروي عيسى بن هشام في هذه المقامة حين كان في بغداد،اشتهىالأزادوهو(نوع من التمر) لاكن المشكل أنه لا يملك نقودا، فخرج ليحتال، فإذا به التقى بالسوادي يسوق حماره، ففرح وقال: «ظفرنا والله بصيدٍ،وحياك الله أبا زيدٍ».[2]

فدار بينهما حوار، وحاول عيسى بن هشام اظهار التودد للسوادي لكسب ثقته و ذلكبالادّعاء، والتظاهر بالحزن الشديد عمّا سمعه، ثم طلب منه أن يذهبا إلى السوق ليأكلا، فذهبا معًا و طمع السوادي لكنه لم يعلم أنّه وقع، فأخذا يأكلان ما لذ وطاب من لحم وحلوى، ثم استأذن عيسى بن هشام لإحضار الماء لاكنه انصرف إلى غير رجعه، ثم اضطّر السوادي لدفع الثمن ونعت عيسى بالقريد وفهم بأنه احتال عليه.

---

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة السعادة، مصر ، ط1 ، 398ه ، ص41.

[2]-المرجع نفسه، ص41.

إذن فقد احتال عيسى بن هشام على السوادي الساذج و استدرجه إلى السوق،

و استغل البطل سذاجة الرجل البسيط من عامة الناس.

3-2-تجليات الهامش في المقامة البغدادية:

إن المقامة كجنس أدبي كثُر الحديث عنها باعتبارها اتّخذت من المهمشين موضوعا لها،فهي تروي عن المحتالين و المكدين، و عليه كان للهامش حضور بارز في متن المقامة، سواء في اختيار الشخصيات أو الموضوعات، فقد قدمت صورًا كثيرة للموضوعات و الشخصيات المهمشة.

أ-الموضوع:

يتجلى الهامش في موضوع المقامة وهو الاحتيال، الذي يرجع إلى انتشار الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية التي أدت إلى بروز هذه الظاهرة الاحتيال، و الحيلة التي مارسها الفقراء بقصد الايقاع بالآخرين من أجل الحصول على المال.

ويقول **حنا االفاخوري:** «بأن الكدية و الاحتيال للتعيش فأمر كان شائعًا لذلك العهد، حتى في طبقات العلماء وأرباب الثقافة».[1]

اذن فموضوع الاحتيال كان منتشرًا في ذلك العصر بهدف العيش، و مسّ كل الطبقات تقريبا.

[1]-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط1، 1986م، ص625.

ب- الشخصيات:

لقد اختار **بديع الزمان** لمقاماتهراويًامعلومًاهو عيسى بن هشام،و هو من قام بسرد الرواية، و كان هو البطل في المقامة البغدادية، يقول **حنا الفاخوري**في ذلك: «و في المقامة راوية و بطل راوية، و الراوية شخص نكرة، عمله الوحيد أن يروي و أن يصطّنع الانفعال، و المقامة تُفتتح بإسناد الرواية إليه (حدثنا عيسى بن هشام قال)»[1].

ويعني هذا بأن عيسى بن هشام هو الراوي والبطل، وهو شخصية لا وجود لها في الواقع، بل شخصية خيالية و أحيانا نجده لا يكتفي برواية الأحداث، وانما يشارك فيها و يشهد وقوعها، و شخصيته نجدها مختلفة في المقامات فتارة شاب، و تارة كهل و أخرى أديب مثقف ملم بكثير من العلوم، كما وصفه **حنا االفاخوري**:«و البطل خزانة علم المؤلف، و أعجوبة الأعاجيب في اللغة و البيان والشعر و شتى المعارف[...] إنه خطيب المنابر، ولسان الحقيقة و الكذب، و رجل الحيلة التي لا تقف عند حد، و هو في الأخلاق و الاجتماع كل شيء وضده، و هو من كل شيء في المقامة فعلاً و قولاً»[2].

هذا يعني أنه كان يعتمد على فصاحة لسانه وجودة تمثيله ليحصل على المال.

و ترمز شخصيته إلى انقلاب القيم و تدهورها في مجتمع القرن الرابع الهجري، إذ أصبحت الكدية و الاحتيال وسيلة للاسترزاق، كما ترمز أيضا الى الشخصيات الهامشية في المجتمع، و ينتمي للطبقة الاجتماعية المتوسطة وإلى شريحة الشحاذين و اللصوص والمحتالين، لذلك يظهر كشخص مسكين وبائس.

إلى جانب هذه الشخصية المركزية نجد شخصية ثانوية وهي: السوادي (أبو عبيدَ)، و هو الذي وقع عليه الاحتيال من عامة الناس.

---

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في الأدب العربي الأدب القديم، مرجع سابق، ص 622.

[2]- المرجع نفسه، ص 622.

وترمز شخصيته إلى القيم الأصيلة، طيبة النفس وسلامة القلب، و السذاجة وحسن الخلق والبساطة.

ج ـ المكان:

كما يتجلى الهامش في المكان فقد ذكر **الهمذاني** مكان وقوع أحداث هذه المقامة وهو السوق، وهو من الأماكن التي يرتادها عامة الناس، كما أنها موجودة في هامش المدينة.

و يعتبر المكان أهم العناصر الرئيسية التي يتعامل معها الكاتب في انشاء نصه، ففيه تجري الأحداث و تتحرك خلاله الشخصيات، وإنّ المكان يعد من أهم الأسباب التي تُصنف الناس على أساسها و من خلالها إلى مركز و هامش.

و بما أن أحداث هذه المقامة وقعت في بغداد، فهي موطن الأصالة و القيم، و أيضا مكانا للفساد و الاحتيال على الناس.

و تشتغل المقامة عادة في البيئات المهمشة، و تهتم بالفقراء و المهمشين الذين يقفون على هامش المجتمع، ليس رغبة منهم و انما نظرًا للظروف المتردية التي عاشها المجتمع العباسي في القرن الرابع هجري.

من المقامات التي ارتبطت بموضوع الهامشيين كذلك نجد المقامة الكوفية.

4-1-الفقر المدقع في المقامة الكوفية:

أ-تسميتها:

سميت بالمقامة الكوفية لأنّ أحداثها وقعت في الكوفة.

ب- ملخص المقامة:

في هذه المقامة نجد عيسى بن هشام يصف نفسه كيف كان في الصغر،فكان يركض مع الأهواء و الملذات و تَسرُعِه في طلب ما تُسوَل له نفسه، و يُزين له هواه حتى كبر وشاب قرر الذهاب لأداء فريضة الحج، وصاحبه في الطريق رفيق وأخذه إلى داره في بلد الكوفة.

وفي الليل جاءهم رجل شحاذ هزمه الجوع في قوله: «{...}قال وفد الليل وبريده وفلُ الجوع وطريده، وحرٌ قادَهُ الضُرُ، و الزمن المُرُ، وضيف وَطؤهُ خفيف، وضالتُه رغيف، وجار يستعدى على الجوع...»[1].

وفي الأخير اختتم المقامة باكتشاف حقيقة البطل، وهو أبو الفتح الاسكندري الذي جاءهم متنكرا في صورة شحاذ متسول.

4-2- تجلياتالهامش في المقامة الكوفية:

تعتبر المقامة من أروع تجليات أدب الهامش فهي سرد وتعبير عن حياة المهمشين و اهتماماتهم، كما تناولت الواقع بشكل أدبي معبِر كشفت بذلك عن المسكوت عنه في المجتمع.

أ-الموضوع:

ويتجلى الهامش في موضوع المقامة، و هو الفقر الذي مسّ الطبقة الاجتماعية المتدنية، و هي ظاهرة ظهرت في مجتمع العصر العباسي بسبب انقسام المجتمع إلى طبقات، فكانت طبقة عليا تحيا الثراء و الترف و الحضارة ، وطبقة متدنية معيشيا تجد الصعوبة البالغة في توفير و تأمين أدنى متطلبات الحياة اليومية وهم الكثرة.

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني، ، مطبعة السعادة، مصر ، ط 1، 398هـ ، ص16-17.

ب- الشخصيات:

في المقامة الكوفية نجد فيها شخصيات متنوعة بدءا بالراوي "**عيسى بن هشام**" وهو رجل يحب السفر ولا يستقر بمكان، إلى جانبه الرفيق الذي صاحبه في السفر، و هو صاحب المنزل من الكوفة ذو مذهب صوفي.

الشخصية الثانية: البطل هو "**أبو الفتح الاسكندري**" والذي اتّخذ صورة السائل الشحاذ الفقير، شيخ كما وصفه الراوي في قوله:« شيخنا أبو الفتح الاسكندري»[1].

ويظهر هنا البطل في صورة أشحذ الناس وأبرعهم تساؤلاً، وهو كذلك أخطبهم وأشعرهم، و في الأخير يفصح عن نفسه بشخصيته الحقيقية بعد التنكر، كما نلاحظه شاعرًا متمكنا، وهذا يعني أنه شخصية متميزة و متغيرة، يحترف التسول و الاستعطاء ليس لمجرد كسب المال، وإنما لاستغفال الناس و خداعهم، وهو يعتمد في ذلك على لسانهن كما يقول حسام محمد علم:«سلاحه ـ في ذلك ـ فصاحة لسانه، وحلاوة منطقه و جودة تمثيله لما يخترعه[...] وهو صورة نماذج من طبقات المجتمع»[2].

كما يستعمل الحيلة تنكرًا بالزي وحتى الدين إن لزم الأمر، وقد اعتمد في كسب المال في هذه المقامة عن طريق الزيارة ليلاً؛ لأن الناس أكثر كرما فيه.

ويضيف **حنا الفاخوري** في وصف البطل قائلا: « وأبو الفتح الإسكندري رجل العقل والعلم و السفر، و قد اضطر هذا البطل العالم أن يسلك طريق الاحتيال والتسول لأنَ الدهر قسا عليه، و الأيام حطت عليه، فراح يتلوَن و يلبس لكل حال لبوسًا»[3].

---

[1]–محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مرجع سابق، ص17.

[2]– حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي القسم الثاني، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ط3، 1427هـ . 2006م، ص 133.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل ، بيروت . لبنان، ط1، 1986م، ص 627.

يقصد هنا بأنه شخص عاقل وعالم ومحب للسفر وكشف العالم، لكن الزمن والظروف القاسية أجبرته على الاحتيال والتسول وخداع الناس بشتى الحيل، فراح يتنكر كل مرةمن أجل الحصول على المال.

أما المكان في هذه المقامة الكوفية، البطل لا يستقر بمكان واحد بل ينتقل كثيرا، و يطوف بالبلدان لجلب الرزق.

5-موضوع مسكوت عنه:

لقد تناول **بديع الزمان** موضوعات مختلفة، لاكنها تجري في إطار قصصي عام حول الكدية و الاحتيال للتعيش، و عادة ما تنتهي إلى هذا الغرض المادي.

وجاءت هذه المواضيع من الواقع الذي يعيش فيه وعليه يقول **حنا الفاخوري:**«{...}وإنما كان متأثرًا بواقع الحياة العامة: بالبؤس و الحرمان و الاملاق، تلك الظواهر الاجتماعية التي حملت كثيرا من الناس على التكدَي و التسول بمختلف الوسائل و الحيل»[1].

وهذا يعني أن موضوع الاحتيال و الفقر كان شائعًا في ذلك العصر، وهما من المواضيع المسكوت عنها والمخفية والمهمشة، وغالبا ما تكون الموضوعات رافضة لما يرفضه المركز على الطبقات المهمشة.

ولهذا تحدث **بديع الزمان** في مقاماته عن التسوَل و الاحتيال و الفقر، وهي من المواضيع الحساسة ، يقول حنا الفاخوري:«كان لابد أن تتمثل في الأدب، وذلك لأن التكدّي شاع في القرن الرابع شيوعًا شديدًا»[2].

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، مرجع سابق، ص 618.

[2]– المرجع نفسه ، ص 616.

من هنا نفهم أنّ الهمذاني يريد أن يوصل للقارء فكرة ، وهو يقصد بأن هذه المواضيع

يجب أن تكون في النصوص الأدبية، ليتعرف القارئ على الحالة الاجتماعية في ذلك العصر و لوصفها، وهي ظاهرة انتشرت في القرن الرابع.

تقول هويدا صالح: «و التهميش كما يراه الباحث المغربي هو أن يصير المهمشون موضوعا للسرد، يسعى الأدباء إلى أن يلتفتوا إلى المسكوت عنه و اللامقول في المجتمع و يجعلونه موضوعا لهم، وتصير الكتابة وسيلة مقاومة، مقاومة الدونية و الإبعاد و الإقصاء»[1].

و معنى هذا أن الأدباء اذا كتبوا عن المواضيع المسكوت عنها و غير المألوفة و المنسيةفي المجتمع، يصيرون مهمشون من خلال كتابتهم التي تعتبر مقاومة و إثبات المنسي.

6-البعد الفني:

إن المقامة من الأنواع الأدبية النثرية التي تنسجم لغتها الفنية مع موضوعاتها، و لها صفتها و خصائصها المميزة عن غيرها من الفنون، و تتميز مقامات البديع بأنها جمل قصيرة،و فيها من الفصاحة و الوضوح والسهولة، و حسن الوصف و كثرة الصناعة المعنوية (الاستعارات، الكنايات...) من غير تكلف ولا تصنع.

لقد اعتمد **الهمذاني** في مقاماته أسلوب النثر المنمق الذي يعتمد السجع والغريب من الألفاظ، كما يعتمد الحوار و القصص، يقول حنا الفاخوري:« أما التنميق فقد التزمه **البديع** كما التزمه غيره من مترسلي ذلك العصر، و هو يقوم عنده بإرسال العبارة موجزة، سريعة،

[1]- هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة ، ط 1، 2015م، ص 109.

مقطعة تقطيعا موسيقيا، فيها ضروب من التشبيهات و الاستعارات و الكنايات و الجناسات وما إلى ذلك»[1].

ويعني هذا أن التنميق كان شائعا في ذلك العهد، و قد تقيد به **البديع** في مقاماته كغيره من الأدباء في ذلك العصر، ويكون ذلك بوضع الكلمات و العبارات القصيرة الموجزة،تحمل في داخلها أنغام موسيقية تترك أثرا في أذن السامع، كما زيّنها بألوان البديع و البيان من تشبيه و استعارات وجناسات.

كما اعتمد على المجاز كثيرا في مقاماته في قوله: «ودخلناها وقد بقل وجه النهار وطرّ شاربه...»[2].

طرّ شاربه طلع و بقل الوجه نبت شعره، و هو كناية عن ارتفاع النهار.

و هكذا نجد المجازات في المقامات، و اعتمد على الايجاز و تكون فيه العبارات قصيرة ، يقول شفيق البقاعي: « عبارة عن تقصير الجمل بمعنى مكثف مشحون بكلام قليل إمّا عن طريق الحذف كما في حذف الصفة أو الموصوف، أو بحذف المضاف أو الشرط وجوابه أو حتى بحذف جملة أو أكثر»[3].

وهي من المميزات التي لم يتخلى عنها **الهمذاني** في مقاماته؛ لأن الجمل القصيرة تحمل دلالات كثيرة بكلام قليل .

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، المرجع السابق، ص 629.

[2]– محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 389هـ، ص16.

[3]–شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس (في الأدب المقارن)، مؤسسة عزالدين، بيروت .لبنان، ط1، 1405هـ . 1985م، ص33.

ويضيف **حنا الفاخوري** قائلا:« أن العبارات القصيرة تحمل دفعا من الأنغام الموسيقية التي تختلف بين المد والقطع والطول والقصر، والشدة واللين{...}»[1].

كما وضف صيغة السجع كثيرا في مقاماته بل ولا تكاد تخلو أي مقامة منه، و قد عرفه **زكيمبارك**قال:«إنّ السجع هو لون من ألوان الصياغة الفنية ، و التزام السجع صار من خصائص النثر الفني في القرن الرابع، كما اعتبر البديع من الطائفة التي تلتزم به التزاما مطلقا ولا تخرج عنه إلا في قليل الأحيان»[2].

و عليه يعتبر السجع أسلوب من أساليب الصياغة الفنية، وميزة من ميزات النثر الفني في القرن الرابع، و **البديع** قد التزم به كثيرا في مقاماته، كما أن السجع في المقامات يعطينا متعة القراءة و تبعد القارئ عن الملل، و يسهل حِفظها.

و يقول **شوقي ضيف** في ذلك: «و هو يظهر براعة فائقة في استخدامها، حقا أنه لا يلتزمها دائما، ولكنه يجنح إليها غالبًا، فالأصل عنده أن يسجع، ولا يترك السجع الاَ نادرًا، وكانت تسعفه في ذلك حافظة نادرة، و بديهة حاضرة، و ذكاء حاد، واحساس دقيق باللغة و مترادفاتها وأبنيتها واستعمالاتها المختلفة».[3]

وهذا يعني أنه أظهر محصوله اللغوي الواسع، كما أظهر ذوقه الرفيع في اختيار الألفاظ، و تركيبها مع بعضها البعض، مثلا يقول في المقامة الكوفية: «{...}حتى شربت من العمر سائغه، و لبست من الدهر سابغه، {... }وطئت ظهر المروضة، لأداء المفروضة»[4]. هنا تتضح النغمة الموسيقية في كلامه.

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار جيل، بيروت . لبنان، ط 1، 1986م،ص629.

[2]– زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، د ط، 2012م، ص 114، بتصرف.

[3]– شوقي ضيف، المقامة،دار المعارف بمصر، كورنيش النيل . القاهرة، ط 3، 1954م، ص 32.

[4]– محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزمان الهمذاني، مطبعة السعادة، مصر، ط 1، 398هـ ، ص 16.

وعليه تتضح مهارة **البديع** في استعمال السجع،أما الإطار الخارجي فقد اعتمد على القص في سرد الأحداث، لاكن القصص ليس الغاية بالمعنى الدقيق، وإنما غايته أن يصوغ ألفاظا ويصبغها بألوان فنية التي كانت معروفة في عصره، ويقول حنا الفاخوري في ذلك: «أن القصص هو إطار خارجي لمجموعة لغوية غنية، و البديع من أغنى الناس ألفاظا مهما كانت غريبة، فنراها تنهال من قلمه انهيالا في دقة عجيبة، ولباقة فريدة»[1].

كما اعتمد على الوصف في مقاماته فوصف الشخصيات وأحوالها، والمكان و الأطعمة و الألبسة كل ذلك نجده في المقامات ، وتقول الباحثة **هويداصالح:** «و للوصف وظائف متعددة منها التصوير الفني للمكان، و تصوير الشخصيات التي تتواجد في المكان، و من خلاله أيضا يمكن وصف الشخصيات من الداخل و تصوير مزاجها و طبعها»[2].

فالوصف إذن وظيفته تصوير المكان و الشخصيات المتواجدة فيه، وقد أظهر **البديع** براعته في الوصف و دقة التصوير.

كما تشتمل على الحوار بين بطل المقامات و راويها، و عليه نستنتج بأن مقامات الهمذاني قد اتّسمت بجملة من العناصر الفنية،و هي غلبة السجع القصير، العناية بالألفاظ، كثرة الشعر و الأمثال، كثرة الغريب من الكلمات، و الاقتباس من القرآن الكريم.

[1]– حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت . لبنان، ط 1، 1986م، ص 630.

[2]– هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ط 1، 2015م، ص 202.

المبحث الثاني

المقامة فن الهامش

« كذلك المقامات- بوصفها قصصا-
...ففكرتها المحورية التحايل من أجل الحصول
على الطعام و الشراب دون تعب، و دون قيم
عليا».

هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، ص232.

1-المقامة في حد ذاتها فن الهامش:

إنَ المقامة من الأشكال النثرية القديمة، فهي فن هامشي باعتبار الثقافة العربية ثقافة شعرية، كما ارتبطت بمشاكل الطبقة الاجتماعية البسيطة، وعملت على كشف العيوب الانسانية و الاجتماعية.

كما أنها مرتبطة بالقضايا الاجتماعية و بالحياة اليومية و مهتمة بتفاصيلها البسيطة، وهذا ما كان منعدما في الشعر العربي و أيضا لأن المقامة تحدثت عن أجرأ القضايا المحظورة من الأدب الرسمي (الشعر).

كما أنها خطاب الطبقات الهامشية الاجتماعية، وهي تعبيرهم وصوتهم و صورتهم و تنتمي إلى الثقافة الشعبية، اضافة إلى أن بطلها هامشي من الطبقة المتدنية و تعالج موضوعات تتعلق بالفرد البسيط، كما تدور أحداثها في مناطق شعبية هامشية مثلا: الأسواق، الحمامات، الحانات إلى غير ذلك.

لكن رغم ذلك المقامات ساهمت بشكل كبير في مجال الأدب بنوعييه الشعري و النثري،

كما يقول الكاتب **محمود إسماعيل** في كتابه المهمشون في التاريخ الإسلامي:« كما وجد من العوام من أسهم بنصيب وافر في مجال الأدب، نثرًا و شعرًا فأدب "المقامات" ـ على سبيل المثال ـ عبّر عن معاناة المكدودين و المتسولين وبؤس الشرائح الاجتماعية المهمشة، لذلك انطوت على قدر من النقد الاجتماعي، وصل أحيانا الى حد التحريض على

الثورة للتخلص من تلك الأوضاع المزرية، ومن أشهرها مقامات "بديع الزمان الهمذاني" الذي كان من المكدودين و الذي راجت مقاماته بين جموعهم عن طريق التداول الشفاهي»[1].

و يقصد بأن المقامات أثرّت الأدب بأسلوبها ولغتها و موضوعاتها، وجاءت معبرة عن معاناة الفقراء والمتسولين و ظروف الشريحة الاجتماعية المهمشة و المنسية، وهدفها نقد وفضح ومحاولة تسليط الضوء على هذه الأوضاع المزرية من فقر وظلم و الاغتراب.

كما مزج بين اللغة الفصيحة التي هي لغة الأدب الرسمي، و اللغة العامية الهامشية وهي لغة الأدب الشعبي فقد حاول من خلالها أن يُعلي من شأن الهامش.

كما طبعت المقامة بطابع السخرية و هذا ما جعلها تنتمي الى أدب الهامش، كما اتخذ الهمذاني الطابع الساخر الذي يُعد أداة من أدوات الفنية كوسيلة للتعبير عن رؤيته للمجتمع و لواقع المهمشين، و حاول الكشف عن واقعهم المر في العصر العباسي من خلال توظيف السخرية بهدف نقد و فضح السلوكيات و الممارسات التي يقوم بها أفراد المجتمع المهمش.

و قد اعتبر **محمود إسماعيل** بأن المقامة أدب من الآداب العوام في كتابه المهمشون في التاريخ الإسلامي يقول: « و أبدع العوام أدبا في صورة (مقامات وعظية) تشيد بطبقتهم و تحضرهم على الثورة، كما ظهر نوع من الأدب أطلق عليه (أدب التسول و الكدية)، و هو يفضح الواقع السياسي و الاجتماعي للمجتمعات الاسلامية آنذاك، اذ ينحاز للمهمشين، و يحمل بضراوة على جلاديهم من الحكام الجائرين»[2].

ويقصد هنا أن المقامة بأنها أنتجت من العوام وتنحاز إلى المهمشين.

---

[1]-محمود إسماعيل ، مهمشون في التاريخ الإسلامي ، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2004م ، ص193.
[2]-المرجع نفسه ، ص26.

هكذا إذن عبرت مقامات **الهمذاني** عن هموم الطبقات الكادحة و طموحاتها في الخلاص من خلال هذه المواضيع التي كانت وسيلة للاعتراف و التعبير عما كان في مجتمعه، كما كشفت عن حقيقة تردي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي.

وعليه يمكن القول بأن أدب الهامش في الأدب العربي عامة و المقامة خاصة قد انطبع بسمات فنية نبعت من نوعية الموضوعات التي عالجتها و هي تعبير عن هموم الفرد في مواجهته للحياة اليومية.

2-المجتمع العباسي في مقامات الهمذاني:

إنّ كلّ من ألقى نظرة على مقامات بديع الزمان الهمذاني، و طالع في صفحاتها يكشف من خلال سطورها الحالة الاجتماعية التي كانت تسود هذا المجتمع في القرن الرابع هجري، فقد كان همّ الرجل جمع ثروة لفظية لغوية انطلاقا من بيئته التي تأثّر بها، وقد ظهر هذا التأثّر في ما كتبه في فن المقامة.

في مقامات الهمذاني هناك ذِكر لطبقتان هما: طبقة برجوازية التي استولت على المال و صعّبت حياة الناس الفقراء، و عاشت الغنى و الرفاهية كما ذاقت حلاوة الدنيا بما ألذّ و أطيب[1].

و يتضح ذلك في المقامة الوصية: « و الوجبات عيشُ الصالحين»[2].

أما الطبقة الثانية فهي عامة من الناس التي تعيش في حالة يرثى لها من الفقر و الحرمان، فقد انتشرت المجاعات و الجوع وتخلّت عن شرفها، فكثر الاستجداء و التكدّي و التسوّل فلجأت إلى كل الوسائل الدنيئة، فاستعانت بالكذب و الحيل و الخُدع بعيدا عن

[1]-ينظر/حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم ، دار الجيل ، بيروت-لبنان ، ط1 ، 1968م ، ص630.
[2]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1 ، 398ه ، ص158.

الأخلاق، فشاعت بذلك كل الوسائل اللّصوصية و أصبح الحصول على المأكل و المشرب شهوة من الشهوات، و يتضح ذلك في المقامة البغدادية:« فَاستفزّتهُ جُمّةُ القَرم، و عَطَفَتهُ عَاطفةُ اللَّقَم و طَمَعَ، و لم يَعلم أنّهُ وقعَ»[1].

تميّزت هذه الطبقة بأنواع من التلصّص و يظهر ذلك في المقامة الكوفية: « ولمّا اغتمَضَ جَفنُ اللّيل، و اخضَرَّ جَانبهُ. قُرعَ علينَا البَابُ: فقلَنا من القَارعُ المنتَابُ، فقال وفدُ الليل و بريدهُ، و فلُّ الجُوع و طَريدهُ: و حرُّ قادهُ الضرُّ. و الزمنُ المرُّ. و ضيفٌ وطؤهُ خفيفٌ. و ضالته رغيفُ. و جارٌ يستعدي على الجُوع»[2].

في هذه المقامات يصور لنا البديع البيئة العباسية و قضاياها ، و عن طريقة حياتهم في الحصول على الرزق، و ظروفهم المعيشية و روعة حيلهم و ذكائهم في انتزاع المال من جيوب الناس، و ذلك عن طريق تداولهم بعض الأقوال التي ترقّ لها القلوب.

---

[1]-محمد محمود الرافعي ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ، مرجع سابق، ص42.
[2]-المرجع نفسه ، ص16-17.

خاتمة

لقد مكننا هذا البحث من دراسة فن المقامة التي استطاعت أن تُحيط بمجتمعات الناس في العصر العباسي، و جعلت القارئ يعايشهم معايشة حقيقية حيث نقلت لهم عوالمهم سواء في الأسواق أو في المطاعم أو المساجد، كما تخطت هؤلاء جميعا إلى اللّصوص و الشحّاذين و المحتالين، فصورت بذلك قضايا و هموم هؤلاء القوم من الناحية الفكرية و المعاشية و الثقافية.

أفدنا من هذا العمل التطبيقي أنّ المقامة فن نثري نشأ في أواخر العصر العباسي خلال القرن الرابع هجري، وهو شكل قصصي اشتُهر به كاتب معروف هو بديع الزمان الهمذاني، هذا الفن الذي يحمل في طياته سلسلة من الأفكار و المسائل الاجتماعية المختلفة، التي طرحها البديع في مقاماته على شكل قصص قصيرة، برع و تأنّق في ألفاظها و أساليبها فاتّخذ لقصصه هذه راويا واحدا هو عيسى بن هشام، و بطلا واحدا هو أبو الفتح الاسكندري الذي يظهر دائما متقمّصا شخصية أديب شحّاذ يحتال على الناس، باختراع الحيل و المكائد رغبة في الوصول إلى هدفه الذي يتمثّل في استخراج المال من جيوب الناس دون تعب، و ذلك حتى يوضّح الحالة الاجتماعية لمجتمعه في العصر العباسي.

إنّ المقامات باعتبارها مجموعة حكايات قصيرة نجد أنّها جمعت في جوهرها بين النّثر و الشّعر في وصف الحالة المتردية في زمان الهمذاني، أما من حيث غرضها فهو يتمحور حول تعليم النّاشئة اللّغة و علم البيان، فقد كان البديع يريد لتلاميذه أن يتعلّموا أساليب اللّغة العربية بألفاظها و بديعها.

لقد سجلت المقامة حضورًا قويًا في الساحة الأدبية و النقدية على حد سواء، وإن كان الشعر قد مثل المركز و فرض سلطته على النثر، فإنّ النثر لا يقل قيمته على المنظوم، و تعتبر المقامات تحفة أدبية رائعة بأسلوبها و مضمونها الذي يبعث على الابتسام و المرح، كما تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، فكانت عبارة عن وثيقة تاريخية تصور جزءًا من حياة عصره .

ومن خلال ما مر معنا في هذا البحث من نقاط من الطبيعي أن نخلص إلى جملة من النتائج أهمّها:

المقامة فن أدبي انتشر في العصر العباسي و يعتبرها البعض من الأدباء أقرب إلى القصة؛ لأنّها في مجملها هي قصص قصيرة يكون البطل فيها هامشي يرتاد الحانات و الأسواق.

المقامة كانت تعني في البداية اسم مكان المجلس و الجماعة من الناس، ثم انتقلت بعد ذلك لتصبح قصة قصيرة تشتمل على عظة من خلالها يُظهر الأدباء براعتهم اللّغوية.

لم يقتصر التعرف على فن المقامة في الأدب العربي فقط، بل شملت كذلك الآداب الفارسية و العالمية.

هذا الفن الحكائي هو شبه قصة فيها عناصر القصة كالسرد، شخصيات خيالية فالراوي يحكي فيها قصة هذا البطل الذي يسعى لكسب معيشته بوسائل حيلية، و يتقمّص شخصيات مختلفة فيتداول بعض الأقاويل التي ترقّ لها القلوب و ذلك رغبة في الوصول إلى هدفه الذي هو الحصول على المال دون تعب و دون بذل أي جهد.

اعتمد صاحب المقامة على السرد، القص، الحكي، الوصف فيصف الحالة الاجتماعية للبطل، الشخصيات الهامشية التي ترافق البطل كما يصف المكان و الزمان الذي وُجد فيه الراوي و البطل، إضافة إلى ذلك يصف الأمور النفسية لهذا البطل كما يصف الضحايا التي يأخذ منها البطل المال.

الغرض من المقامة ليس الغاية التعليمية و الإمتاع فقط، بل تتحدّث عن المسكوت عنه في المجتمع العباسي خلال القرن الرابع هجري.

الهمذاني أراد أن يصف مجتمعه بطابع السخرية و هذه الأخيرة- السخرية- غرضها نقدي أراد من خلالها أن يضخّم فيها عيوب مجتمعه، و يكشف عن القضايا الاجتماعية المخفية التي كانت تسود عصره.

لغة المقامة هي لغة عامية تعتمد عبارات قصيرة ذات إيقاعات سريعة ، أو هي لغة القاع كما وصفتها هويدا صالح.

تحتوي المقامة على معجم لفظي استقاه البديع من شظف و قسوة الحياة في عصره.

تطرق بديع الزمان الهمذاني إلى نقد المجتمع الذي عاش فيه مجتمع عباسي، انقسامه إلى طبقات، الحرمان، الفقر فالموضوع الرئيسي عنده هو التسول لاكنه يطرحه بشكل مختلف و بصورة مختلفة في كل مقامة.

كانت مقامات بديع الزمان الهمذاني خلاصة لأهم القضايا الاجتماعية المسكوت عنها، فكان هذا الفن وسيلة لإظهار سلطة المركز على الطبقات الهامشية الضعيفة.

- فن المقامة من الأشكال الفنية القديمة التي حملت في طياتها تيارين: تيار أدب الحرمان و التسول، و تيار أدب الصنعة.

لم تكن المقامة قالبا فنيا تغلب عليه روح الدعابة و السخرية، وإنّما كانت مسلكا يُظهر من خلالها المؤلف المهارات اللّغوية التي يمتلكها من حيث البلاغة و البديع.

طرح البديع في مقاماته موضوع الهامش و حالة الهامشي كفرد منسي منبوذ، لا يعترف به المركز الذي يُعدّ مهيمنا اجتماعيا لا يعترف بالثقافة الهامشية، و ينتمي إلى نسق ثقافي مركزي.

الهامش هو تلك الجماعة البشرية التي تقف ضدّ ثقافة المركز و يُطلق عليها الحركة الهامشية، أو ما يُعرف بالهامشيين.

تتميز لغة الهامشي بإعلان ما هو مخفي مسكوت عنه بطابع فيه مزج بين اللّغة العامية و الفصيحة.

تعتبر الهامشية كوضعية يوصف بها الهامشي نوعان إرادية تتشكل عن رغبة الفرد، و هامشية مسلّطة تنجم من التمييز الاجتماعي و استبعاد الآخر من قِبل المركز.

لقد أفدنا من خلال هذا البحث أنّ أدب الهامش له شقّين:

شق المسكوت عنه، و شق السخرية فهو ينظر إلى المهمشين بوصفهم فئات منحرفة كالمتسولين، اللصوص فالنّظرة إلى الهامشي هي نظرة دونية تقلل من مكانتهم الاجتماعية كونهم يعيشون على هامش المجتمع ، و ينتمون إلى الثقافة الهامشية المضادة الغير مرغوب فيها في الثقافة المركزية الرسمية.

أن مقامات الهمذاني مجموعة من أحاديث قصيرة، مزج فيها بين الشعر و النثر، وهذا يدل أن المقامة جنس أدبي ممزوج بالنثر و الشعر، و هذه الحكايات تخبرنا عن بطلها أبو الفتح الاسكندري و هو شخص غير حقيقي.

كما نلاحظ في مقامات البديع ظاهرة لافتة في كل المقامات منها: تبدأ المقامة ب"حدثنا عيسى بن هشام قال"، وهذا يعني أن الهمذاني كان حريصا على الإسناد المتخيل المنسوب إلى راوٍ وهمي.

أن المقامة في حد ذاتها فن من الفنون النثرية الهامشية لارتباطها بالقضايا الاجتماعية و بالحياة اليومية و بطلها ينتمي للطبقة المتدنية.

اقترنت المقامة بالطابع الساخر و المضحك، كوسيلة لنقد حقيقة ما يجري في المجتمع العربي في القرن الرابع كما حفلت بالوعظ و الحكم و الحث على العلم و المرح مستعملا أسلوب السهل و السجع القصير دون تكلفة.

إنّ الهمذاني استطاع أن يبني عالمًا خياليًا عبّر فيه عن واقع المجتمع في العصر العباسي في القرن الرابع الهجري، و اعتبرت المقامة من أبرز الانجازات الأدبية للعصر العباسي، بأسلوب منمق ذي صيغة بلاغية عالية.

ونرجو في الأخير، أن نكون قد استوفينا حقّ هذا البحث ولو النزر القليل، مع يقيننا

بأنّه مجرد مشروع غير مكتمل يعتوره الكثير من النقص، أملنا أن يفيد الطلبة و القراء راجين من الله عزّ و جلّ أن يكون بحثنا قد وصل إلى المستوى العلمي الذي يتمناه كل طالب باحث مبتدأ يسعى إلى اكتساب المعرفة، و آخر الكلام الصّلاة و السّلام على خير الأنام.

ملحق

إذا استشعرتموه لم تجمحوا[١]. ومتى ذكرتموه لم تمرحوا[٢] وإن نسيتموه فهو ذاكركم. وإن تمتم عنه فهو ثائركم[٣]. وإن كرهتموه فهو زائركم. قلنا: فما حاجتك. قال: أطول من أن تحدّ وأكثر من أن تعدّ. قلنا: فسانح الوقت[٤] قال: ردّ فائت العمر. ودفع نازل الأمر. قلنا: ليس ذلك إلينا ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها. قال: لا حاجة لي فيها وإنما حاجتي بعد هذا أن تخدوا أكثر من أن تعوا[٥].

(١٢) المقامة البغدادية

حدّثنا عيسى بن هشام قال: اشتهيت الأزاذ[٦]. وأنا ببغداذ. وليس معي عقد. على نقد[٧]. فخرجت أنهز محاله حتى أحلني الكرخ. فإذا أنا بسوادي[٨] يسوق بالجهد حماره. ويطرّف بالعقد إزاره. فقلت: ظفرنا والله بصيد، وحيّاك الله أبا زيد،

(١) جمح استعصى واستشعر لبس جعله شعاراً (٢) مرح يمرح فرح (٣) ثائرك أى آخذ منك بالثأر: أى ان لم يدوكك اليوم يأتك غداً (٤) أى ما سنح لك فى هذا الوقت (٥) تخدوا تسرعوا من الوخد ضرب من السير (٦) الازاذ نوع من التمر (٧) النقد الدراهم والعقد ماتعقد به. والمحال جمع محل المكان (٨) سوادى نسبة الى سواد العراق

مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ، وأَيْنَ نَزَلْتَ ، ومَتَى وافَيتَ ، وهَلُمَّ إلى البيتِ ، فقال السَّوادِيُّ : لَستُ بأبي زَيدٍ ، ولكِنّي أبو عُبيدٍ ، فقلتُ : لَعَنَ اللهُ الشَّيطانَ . وأبعَدَ النِسيانَ . أنسانيكَ طُولُ العَهدِ . واتِّصالُ البُعدِ ، فكيفَ حالُ أبيكَ أشابٌّ كعَهدِي ، أم شاب بَعدِي . فقال : قد نَبَتَ الرَّبيعُ على دِمنتِه (١) ، وأرجو أن يُصَيِّرَهُ اللهُ إلى جَنَّتِه . فقلتُ : إنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، ومَدَدْتُ يَدَ البِدارِ . إلى الصِّدارِ (٢) ، أُريدُ تَمزيقَهُ . فقَبَضَ السَّوادِيُّ على خَصْرِي بجُمْعِه (٣) وقال : نَشَدْتُكَ اللهَ لا مَزَّقْتَه . فقلتُ : هَلُمَّ إلى البيتِ نُصِبْ غَداءً . أو إلى السُّوقِ نَشترِ شِواءً . والسُّوقُ أقرَبُ وطَعامُه أطيَبُ . فاستَفزَّتْهُ لُحمَةُ القَرَمِ (٤) ، وعَطَفَتْه عاطِفَةُ اللَّقَمِ . وطَمِعَ . ولم يَعلَمْ أنّه وَقَعَ . ثمَّ أتينا شِوَاءً يَتقاطَرُ شِواؤُه عَرَقاً . وتَسايَلُ جُوذاباتُه مَرَقاً (٥) . فقلتُ افرِزْ لأبي زَيدٍ من هذا الشِواءِ . ثمَّ زِنْ لهُ من تلكَ الحَلواءِ . واختَرْ لهُ من تلكَ الأطباقِ .

---

(١) الدمنة آثار الدار . كناية هنا : عن موته وذهاب آثاره
(٢) الصدار قميص على الجسد والبدار المسارعة (٣) الجمع قبضة الكف (٤) القرم شدة الشهوة الى أكل اللحم ولحمة الشيء شدته
(٥) واحدها جوذابة طعام يصنع من لحم وخبز

وانضِدْ عليها أوْرَاقَ الرُّقَاقِ ، ورُشَّ عليها شيئاً مِن ماءِ السُّمَّاقِ (١) لِيأْكُلَهُ أبو زيدٍ هنيئًا ، فانحنى الشوَّاءُ بساطُورِه ، على زُبْدَةِ تنُّورِه . فجعلَها كالكُحْلِ سَحْقاً ، وكالطِّحْنِ دَقًّا ، ثمَّ جلسَ وجلَسْتُ ، ولا يَئِسَ ولا يَئِسْتُ . حتَّى اسْتَوْفينا وقُلْتُ لِصاحِبِ الحَلْوَى : زِنْ لأَبي زيدٍ مِنَ اللوزِينجِ رَطْلَيْنِ (٢) فهوَ أجْرَى في الحُلُوقِ . وأمْضَى في العُرُوقِ . ولْيَكُنْ لَيِّنَ العَجْنِ (٣) ، يَوْمِيَّ النَّشْرِ ، رَقِيقَ القِشْرِ ، كثيفَ الحَشْوِ ، لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ ، كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ ، يَذُوبُ كالصَّمْغِ ، قبلَ المَضْغِ ، لِيأْكُلَهُ أبو زيدٍ هنيئاً . قال : فوَزَنَهُ ثمَّ قعَدَ وقعَدْتُ ، وجرَّدَ وجرَّدْتُ ، حتَّى اسْتَوْفيناهُ ، ثمَّ قلتُ : يا أبا زيدٍ ما أحْوَجَنا إلى ماءٍ يُشعْشَعُ بالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هذهِ الصَّارَّةَ . ويُفْثَأَ (٤) هذهِ اللُّقَمَ الحارَّةَ . إجْلِسْ يا أبا زيدٍ حتَّى نأْتِيَكَ بسقَّاءٍ . يَأْتِيكَ بِشَرْبَةِ ماءٍ ، ثمَّ خَرَجْتُ وجلَسْتُ بحيثُ أراهُ ولا يَرانى أنْظُرُ ما يَصْنَعُ . فلمَّا أبْطأْتُ عليهِ قامَ السَّوادِيُّ إلى حِمارِه . فاعْتلَقَ الشوَّاءُ بإزارِه ، وقال : أينَ ثَمَنُ ما أكَلْتَ . فقال أبو زيدٍ : أكَلْتُه ضَيْفاً . فلَكَمَهُ لَكْمَةً ، وثَنَّى عليهِ بلَطْمَةٍ . ثمَّ قال الشوَّاءُ : هاكَ . ومَتَى دَعَوْناكَ .

---

(١) السماق ثمر (٢) اللوزينج نوع من الحلوى (٣) أى صنع ليلا وأخرج نهاراً (٤) يفثأ يهدئ . والصارّة العطش . ويشعشع يمزج

زُنْ يا أخا القِحةِ[1] عِشرِينَ . فجعلَ السَّوادِيُّ يَبكِي ويَحُلُّ عُقدَهُ بأسنانِه ويقولُ: كم قلتُ لِذاكَ القُرَيدِ، أنا أبو عُبيدٍ وهو يقولُ: أنتَ أبو زَيدٍ . فأنشدتُ :

أعمِلْ لِرِزقِكَ كلَّ آلَهْ ... لا تقعُدَنَّ بكلِّ حالَهْ
وانهَضْ بكلِّ عَظِيمةٍ ... فالمرءُ يعجِزُ لا مَحالَهْ

﴿١٣﴾ المَقامةُ البَصْرِيَّةُ

حدَّثنا عِيسى بنُ هِشامٍ قال : دَخلتُ البَصْرَةَ وأنا مِن سِنِّي في فَتاءٍ[2] . ومِنَ الرِّيِّ في حَبْرٍ ووَشاءٍ[3] ومِنَ الغِنى في بَقَرٍ وشاءٍ[4] فأتيتُ المِربَدَ[5] في رُفقةٍ تاخُذُهُمُ العُيونُ ومَشَينا غيرَ بَعيدٍ إلى بعضِ تلكَ المُتنزَّهاتِ . في تلكَ المُتوَّجاتِ ، ومَلَكتنا أرضٌ خَلَناها . وعَمَدْنا لِقِداحِ اللَّهوِ فأجَلْناها . مُطَّرِحينَ لِلحِشمَةِ إذ لم يَكُنْ فينا إلاَّ مِنَّا . فما كانَ بأسرَعَ مِن ارتِدادِ الطَّرفِ حتَّى

(١) القحة اللؤم والوقاحة (٢) الفتوة والشباب (٣) الحبر كالحبور للسرور والحَبْر الحسن والبهاء والوشاء الاسم من وشي الرجل كثر ماله (٤) الشاء جمع شاة الواحدة من الغنم (٥) سوق بالبصرة

أنا جوّالةُ البلا دِ وجوّابةُ الأُفُقْ
أنا خُذْرُوفةُ الزّما نِ وعمّارةُ الطُّرُقْ (١)
لا تَلُمْنِي لك الرّشا دُ على كُدْيَتي وذُقْ (٢)

(٩) المَقَامَةُ الجُرْجَانِيَّةُ

حَدَّثنا عِيسَى بنُ هِشامٍ قال : بَينَا نحنُ بجُرْجانَ في مَجْمَعٍ لنا نَتحدَّثُ وما فِينَا إلاّ مِنَّا ، إذ وَقَفَ علينا رَجُلٌ لَيسَ بالطّوِيلِ المُتَمَدِّدِ ، ولا القَصِيرِ المُتَرَدِّدِ ، كَثُّ العُثْنُونِ (٣) يَغْلُوهُ رَوْعُ صُفَارٍ في أَطْمارٍ (٤) ، فافْتَتَحَ الكلامَ بالسّلامِ ، وتَحِيَّةِ الإِسْلامِ ، فَوَلَّانا جَميلاً ، وأَوْلَيناهُ جَزِيلاً ، فقال : يا قَوْمُ إنّي امْرُؤٌ مِنْ أهلِ الإِسكندريَّةِ ، مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ ، نَمَتْنِي سُلَيْمٌ ورَحَّبَتْ بي عَبْسٌ ، جُبْتُ الآفاقَ ، وتَقَصَّيْتُ العِرَاقَ ، وجُبْتُ البَدْوَ والحَضَرَ ، ودارَيْ رَبِيعةَ ومُضَرَ ، ما هُنْتُ ، حَيثُ كُنْتُ

---

(١) الخذروف لعبة يدوّرها الصبيّ (٢) الكدية الشحاذة
(٣) كث كثيف والعثنون اللحية (٤) الصفار الجوع والروع الخوف

فلا يُزْرِيَنَّ بي عِنْدَكم ما تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وأَطْمَارِي (١). فلقد كنَّا واللهِ مِنْ أهلِ ثَمٍّ ورَمٍّ (٢). نُرْغِي لَدَى الصَّباحِ. وتُثْغِي عِنْدَ الرَّوَاحِ (٣).

وقِينا مَقاماتٍ حِسَانٍ وُجوهُهُمْ ... وأَنْدِيَةٍ يَنْتابُها القَوْلُ والفِعْلُ

عَلى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهِمِ ... وعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ

ثمَّ إنَّ الدَّهرَ يا قَوْمُ قَلَبَ لي مِنْ بَيْنِهِمْ ظَهْرَ المِجَنِّ. فاعْتَضْتُ بالنَّوْمِ السَّهَرَ. وبالإقامةِ السَّفَرَ. تَتَرَامَى بيَ المَرَامِي. وتَتَهادَى بيَ المَوَامِي (٤). وقَلَعَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصَّمْغَةِ. فأُصْبِحُ وأُمْسِي أَتْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وأَعْرَى مِنْ صَفْحَةِ الوَلِيدِ (٥). وأُصْبِحُ فارِغَ الفِناءِ. صِفْرَ الإِناءِ. مالِي إلاَّ كَآبَةُ الأَسْفارِ. ومُعاقَرَةُ السِّفارِ (٦). أُعانِي القَفْرَ. وأُمانِي القَفْرَ. فِراشِي

---

(١) السمل الثوب الخلق. والأطمار واحدها طمر الثياب البالية

(٢) الثم إصلاح الشئ وإحكامه وهو والرم بمعنى الاصلاح

(٣) يقال: أرغى الابل اذا حملها على الرغاء بجرها الى الذبح. والرُّغاء صوتها. وأثغى الشاء حملها على الثغاء بجرها إلى النحر والثغاء صوتها

(٤) المواني جمع موماة الفلاة (٥) صفحة الوليد وجهه. والراحة باطن الكف (٦) السفار جلدة توضع على حنك البعير بمنزلة الحكمة من الفرس أي انه ملازم لقود الناقة. وأعاني أقاسي. وأحتمل والمعاناة المداراة

المَدَرُ (١). ووسادي الحَجَرُ

بآمِدَ مرَّةً وبرأسِ عَيْنٍ وأحياناً بِمَيا فارِقينا
لَيْلَةً بالشّامِ ثُمَّتَ بالأهْوازِ م رَحلي ولَيلةً بالعِراقِ

فما زالَتِ النَّوَى تَطرَحُ بي كلَّ مَطرَحٍ حتَّى وَطِئْتُ بِلادَ الحَجَرِ وأحلَّتْني بَلَدَ هَمَذانَ. فقَلاني أحياؤُها، وآثَرَ أبٌ إليَّ أحباؤُها، ولكنّي مِلْتُ لأعظَمِهِمْ جَفْنَةً وأزْهَدِهِمْ جَفوَةً:

لهُ نارٌ تُشَبُّ على يَفاعٍ إذا النيرانُ أُلبِسَتِ القِناعا (٢)

فوَطَّأَ لي مَضْجَعاً، ومَهَّدَ لي مَهْجَعاً، فإنْ وَنَى لي ونِيَّةً (٣) هَبَّ لي ابنٌ كأنَّهُ سَيفُ يَمانٍ، أو هِلالٌ بَدا في غيرِ قَتَمانٍ (٤)، وأولاني نِعَماً ضاقَ عنها قَدَري، واتَّسَعَ بها صَدْري، أوَّلُها فَرْشُ الدّارِ، وآخِرُها ألفُ دِينارٍ، فما طَيَّرَتْني إلاَّ النِّعَمُ، حيثُ تَوالَتْ، والدَّيْمُ لما انْثالَتْ، فطَلَعْتُ عَنْ هَمَذانَ طُلوعَ الشّارِدِ (٥)، ونَفَرْتُ نِفارَ الآبِدِ، أَفْرِي المَسالِكَ وأَقْتَفِرُ المَهالِكَ (٦)، وأُعاني المَمالِكَ، على أنّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوايَ (٧) وزُغْلولاً لي

---

(١) المدر الطين اليابس (٢) اليفاع الأرض المرتفعة، والقناع ما يغطي به الشيء (٣) ونى يني فتر. وهب نشط (٤) القتمان الاغبرار والسواد (٥) طلعت عن أي غبت. والشارد النافر والآبد المتوحش (٦) اقتفر اقتفى وأفري أقطع (٧) كناية عن زوجته والمثوى المكان

كأنّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبِهٌ
في مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الحَيِّ مَفْصُومُ (١)

وقد هَبَّتْ بي إليكُمْ رِيحُ الاحتياجِ . ونَسِيمُ الإلفاجِ (٢) . فانظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنَقْضٍ (٣) مِنَ الأَنْقاضِ مَهْزُولٍ . هَدَّتْهُ الحاجَةُ . وكَدَّتْهُ الفاقَةُ :

أَخا سَفَرٍ جَوَّابِ أَرْضٍ تَقاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فهوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

جَعلَ اللهُ للخيرِ عليكُمْ دَلِيلاً . ولا جَعلَ للشَّرِّ إليكُمْ سَبِيلاً . قالَ عِيسى بنُ هِشامٍ : فَرَقَّتْ واللهِ لهُ القُلوبُ . وآغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كلامِهِ العُيُونُ . ونِلْناهُ ما تاحَ في ذلكَ الوَقْتِ . وأعْرَضَ عَنَّا حامِداً لنا . فَتَبِعْتُهُ فإذا هُوَ واللهِ شَيْخُنا أبو الفَتْحِ الإسكَنْدَرِيُّ

---

(١) الدماج حلىّ تلبسه النساء في معاصمها والنبه الشئ المشهور ومفصوم مصدوع . والبيت لذي الرمة يصف ظبياً قد انحنى في نومه فشبهه بدملج مفصوم ونبه أي نقى أبيض (٢) الالفاج الاحتياج الى غير الأهل . (٣) النقض المهزول من السير جملا كان أو ناقة . والفاقة الفقر

٥ المقامة الكوفية

حدثنا عيسى بن هشام : قال : كنت وأنا فتيّ السنّ أتدرّج على لكلّ عماية[١] وأركض طرفي[٢] إلى كلّ غواية ، حتى شربت من العمر سائغه ولبست من الدهر سابغه . فلما صاح النهار بجانب ليلى[٣] . وجمعت للمعاد ذيلي : وطئت ظهر المروضة لأداء المفروضة[٤] : وصحبني في الطريق رفيق لم أنكره من سوء حين تجالينا ، وخبّرنا بحالينا ، سفرت القصة عن أصل كوفيّ ، ومذهب صوفيّ ، وسرنا فلما احتللنا الكوفة ملنا الى دار ودخلناها وقد بقل وجه النهار وطرّ شاربه[٥] : ولما اغتمض جفن الليل واخضرّ جانبه ، قرع علينا الباب : فقلنا من القارع المنتاب ، فقال وفد الليل وبريده[٦] وفل الجوع وطريده[٦] : وحرّ

---

(١) العماية الضلال والاهواء النفسية (٢) الطرف الكريم من الخيل وأركض أي استحثه (٣) يشير الى طلوع بياض الشيب في سواد العارض ولعله مأخوذ من قول الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

(٤) راض المهر يروضه ذلله والمروضة المذللة ويريد بالمفروضة الحج

(٥) طر شاربه طلع وبقل الوجه نبت شعره كناية عن ارتفاع النهار

(٦) البريد الرسول . والفل المنهزم

قادَهُ الضُّرُّ . والزَّمَنُ المُرُّ . وَضيفٌ وَطْؤُهُ خَفيفٌ . وضالَّتُهُ رَغيفٌ . وَجارٌ يَسْتَعْدِي (١) عَلى الجُوعِ . والجَيْبِ المَرْقُوعِ . وغَريبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلى سَفَرِهِ . ونَبَحَ العَوَّاءُ في أثَرِهِ . ونُبِذَتْ خَلْفَهُ الحُصَيّاتُ (٢) . وكُنِسَتْ بَعْدَهُ العَرَصاتُ . فَنِضْوُهُ طَليحٌ (٣) وعَيْشُهُ تَبْريحٌ (٤) . ومِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهامِهُ فِيحٌ (٥) .

قالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ : فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ وبَعَثْتُها إليهِ وقلتُ زِدْني سُؤالاً : أَزِدْكَ نَوالاً : فقال : ما عُرِضَ عَرْفُ العُودِ (٦) . عَلى أحَرَّ مِن نارِ الجُودِ . ولا لُقِيَ وَفْدُ البِرِّ . بأحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ . ومَنْ مَلَكَ الفَضْلَ فَلْيُؤاسِ (٧) . فَلَنْ يَذْهَبَ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ . وأمَّا أنتَ فَحقَّقَ اللهُ آمالَكَ . وجَعَلَ اليَدَ العُلْيا لَكَ : قالَ عيسَى بنُ هِشامٍ : فَفَتَحْنا لهُ البابَ وقُلْنا ادْخُلْ فإذا هُوَ واللهِ شَيْخُنا أبو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ فقلتُ يا أبا الفتحِ شَدَّ واللهِ ما بَلَغَتْ مِنكَ الخَصاصَةُ (٨) . وهـذا الزِّيُّ خاصَّةً . فتبَسَّمَ

(١) استعدى استغاث واستنصر . والجيب من القميص طوقه

(٢) جمع حصية تصغير حصاة . والعرصة فسحة الدار : يريد انه بائس مطرود (٣) النضو المهزول والطليح التعب (٤) التبريح الشدة وشظف العيش (٥) جمع مهمه المفازة وفيح جمع أفيح الواسع

(٦) عرف العود رائحته (٧) من آساه يواسيه اذا ساواه في الرزق

(٨) الفقر المدقع

وأنشأ يقول :

لا يَغُرَّنَّكَ الذِى أنا فيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أنا فى ثَرْوَةٍ تُشَقُّ م لها بُرْدَةُ الطَرَبْ
أنا لو شِئْتُ لَاتَّخَذْ تُ سُقُوفاً مِنَ الذَّهَبْ
أنا طَوْراً مِنَ النَّبيـ ـطِ وطَوْراً مِنَ العَرَبْ (١)

(٦) أَلْمَقَامَةُ الْأَسَدِيَّةُ

حَدَّثنا عِيسَى بنُ هِشامٍ قال : كان يَبْلُغُنى مِن مَقامَاتِ الإِسكندَرِىِّ ومَقالاتِهِ ما يَصْغَى إليهِ النَّفُورُ ، ويَنتَفِضُ لهُ العُصْفُورُ ويُرْوَى لنا مِن شِعْرِه ما يَمْتَزِج بأجْزاءِ النَّفْسِ رِقَّةً ، ويَغْمُضُ عن أوْهامِ الكَهَنَةِ دِقَّةً ، وأنا أسألُ اللهَ بَقاءَهُ حَتَّى أَرْزَقَ لِقاءَهُ وأَتَعَجَّبُ مِن قُعودِ هِمَّتِه بجالَتِه . مَع حُسْنِ آلَتِهِ (٢) . وقد ضَرَبَ الدَّهرُ شُؤُونَهُ ، بأسدَادٍ دُونَهُ (٣) . وهَلُمَّ جَرًّا إلى أنِ اتَّفَقَتْ لِىَ

---

(١) النبيط جيل من العجم ينزلون بين العراقين (٢) الآلة الحالة : أى مع حسن استعداده فيما يزاوله من صناعة الكلام
(٣) شؤن الدهر صروفه : وضرب شؤنه أحدثها ، والاسداد جمع سدّ الحائل

إلى التَّحقيقِ • ومِنَ التَّحقيقِ إلى التَّعليقِ • واستعنتُ في ذلكَ بالتَّوفيقِ • فسمعتُ مِنَ الكلامِ ما فتقَ السَّمعَ ووصلَ إلى القلبِ وتغلغلَ فى الصَّدرِ • فقلتُ : يا فتى ومِنْ أينَ مطلعُ هذهِ الشَّمسِ • فجعلَ يقول :

إسكندريَّةُ دارى لوْ قرَّ فيها قَرَارِي
لكنَّ بالشَّامِ ليلِي وبالعراقِ نهارِي

﴿٤٠﴾ المقامةُ الوصيَّةُ

حدَّثنا عيسى بنُ هشامٍ قال : لمَّا جهَّزَ أبوالفتحِ الإسكندريُّ ولدَهُ للتِّجارةِ أقعدَهُ يوصيهِ فقالَ بعدَ ما حمدَ اللهَ وأثنى عليهِ وصلَّى على رسولهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : يا بُنيَّ إنى وإنْ وثقتُ بمتانةِ عقلِكَ • وطهارةِ أصلِكَ فإنى شفيقٌ والشَّفيقُ سيِّئُ الظَّنِّ[1] ولستُ آمنُ عليكَ النَّفسَ وسُلطانَها • والشَّهوةَ وشيطانَها • فاستعنْ عليهما نهارَكَ بالصَّومِ • وليلكَ بالنَّومِ • إنَّهُ لبوسُ ظهارتُهُ الجوعُ • وبطانتُهُ الهجوعُ • ومالبسهما أسدٌ إلَّا لانتْ سورتُهُ[2] • أفهمتهما

(١) قال الشاعر : إن الصديق بسوء ظن مولع * (٢) السورة الشدة

يا ابنَ الخبيثةِ . وكما أخشى عليكَ ذاكَ فلا آمنُ عليكَ لِصّين أحدُهما الكَرَمُ . واسمُ الآخرِ القَرَمُ (١) . فإيّاكَ وإيّاهُما إن الكَرَمَ أسْرَعُ فى المالِ مِنَ السُّوسِ . وإنَّ القَرَمَ أشأَمُ مِنَ البَسوسِ (٢) . ودَعْنى مِنْ قولِهِمْ إنَّ اللهَ كَرِيمٌ إنها خُدْعةُ الصَّبِيِّ عنِ اللَّبَنِ (٣) . بَلَى إنَّ اللهَ لَكَرِيمٌ ولكِنْ كَرَمُ اللهِ يَزيدُنا ولا يَقْصُهُ ويَنْفَعُنا ولا يَضُرُّهُ ومَنْ كانَتْ هذِهِ حالُهُ . فلتَكْرُمْ خِصالُهُ . فأمّا كَرَمٌ لا يَزيدُكَ حتّى يَنْقُصَنى . ولا يَرِيشُكَ حتّى يَبْرِيَنى (٤) . فخِذْلانٌ لا أقول

(١) القرم شدة الشهوة الى أكل اللحم (٢) البسوس اسم امرأة وهي خالة جساس بن مُرّة الشيباني كانت لها ناقة فرآها كليبُ وائل فى حماه وقد كسرت بيض طير كان قد أجاره فرمى ضَرْعها بسهم فوثب جساس على كليب فقتله فهاجت الحرب بين بكر وتغلب بسببها أربعين سنة . حتى ضربت بها العرب المثل فى الشؤم (٣) الخدعة ما يخدع به اي قولهم ان الله كريم خدعة لاستنزاف الأموال وهي بمثابة ما يخدعون به الصبي عن اللبن وأصل المثل : لمعاوية وذلك ان علياً كرم الله وجهه أرسل الى معاوية رضى الله عنهما ليأخذه بالبيعة فاستعجل عليه فقال معاوية : انها ليست بخدعة الصبي عن اللبن هو أمر له ما بعده فأبلعى ريقى (٤) يقال راش سهمه ريشاً اذا ركب عليه الريش ورِشت السهم ألزقت عليه الريش ويقال فلان يبرى النبل ويريشها اى يعمل لها ريشاً وفلان لا يريش ولا يبرى اى لا يضر ولا ينفع

عَبْقَرِيٌّ • ولكِنْ بَقَرِيٌّ (١) • أفهِمْتَهُما يا ابنَ المَشْؤُومةِ إنما التِّجارةُ تَنْبِطُ الماءَ مِنَ الحِجارةِ (٢) • أفتَتْرُكُهُ وهوَ مُعرِضٌ ثمَّ تَطْلُبُهُ وهو مُعوِزٌ (٣) أفهِمْتَهُما لا أُمَّ لكَ • إنَّهُ المالُ عافاكَ اللهُ فلا تُنفِقَنَّ إلا مِنَ الرِّبْحِ • وعليكَ بالخُبْزِ والمِلْحِ ولكَ فِي الخَلِّ والبَصَلِ رُخْصَةٌ ما لم تُذِمَّهُما ولم تَجْمَعْ بَينَهُما • واللَّحْمُ لَحْمُكَ وما أراكَ تأكُلُهُ • والحُلْوُ طَعامُ مَنْ لا يُبالي على أيِّ جَنْبَيْهِ يَقَعُ • والوَجَبات (٤) عَيشُ الصَّالِحينَ • والأَكلُ على الجُوعِ واقِيَةُ الفوتِ • وعلى الشِّبَعِ داعِيَةُ الموتِ • ثمَّ كُنْ مَعَ النَّاسِ كلاعِبِ الشِّطْرِنجِ خُذْ كلَّ ما مَعَهُمْ واحفَظْ كلَّ ما مَعَكَ • يا بُنَيَّ قد أسمَعْتُ وأبلَغْتُ • فإنْ قَبِلْتَ فاللهُ حَسْبُكَ • وإنْ أبَيْتَ فاللهُ حَسِيبُكَ • وصلّى اللهُ على سيِّدِنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعينَ

---

(١) العبقر موضع تزعم العرب انه كثير الجن ثم نسبوا اليه كل شئ تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته . فقالوا رجل عبقري اى كامل وثوب عبقري . وبقرى نسبة الى البقر (٢) أنبط الماء استخرجها . ونبط ينبع (٣) يقال أعوزنى الشئ قل عندى مع حاجتى اليه والاعواز الفقر (٤) الوجبات جمع وجبة وهي الأكلة فى اليوم والليلة مرة

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

-المعاجم:

-ابن منظور، معجم لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، راجعه عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، جزء 12، 1424هـ-2003م.

-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ-2004م.

المصادر و المراجع:

-أحمد أحمد بدوي، أسس النقد عند العرب، دار النّهضة، مصر، دط، 1996م.

- العين الثالثة/ تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، مؤلف جماعي، دار ميم للنّشر، الجزائر، ط1، 2018.

- حسام محمد علم، دراسات في النثر العباسي القسم الثاني، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، ط3، 1427هـ-2006م.

-حسن عباس، نشأة المقامة في الأدب العربي، دار المعارف، دط، دت.

-حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 1986م.

-رائد عبيس، فلسفة السّخرية عند بيتر سلوتر دابك، دار الأمان، الرباط، ط1، 2016.

-زكي مبارك، النّثر الفني في القرن الرابع، مكتبة السعادة، مصر، ط2، جزء1، دت.

-شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية مذاهب و مدارس(في الأدب المقارن)، مؤسسة عز الدين، بيروت-لبنان، ط1، 1405هـ-1985م.

-شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف بمصر، كورنيش النيل- القاهرة، ط3، 1973م.

-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي2، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط8، أول ديسمبر 1966.

-طه ندى، الأدب المقارن، دار النّهضة العربية، بيروت، دط، 1412هـ-1991م.

-فكتور الكك، بديعات الزمان، دار المشرق، بيروت، ط2، 1971م-نقلا عن إبراهيم السعافين، أصول المقامات، دار المناهل،بيروت-لبنان، ط1، 1407هـ-1987م.

-كارل بروكلمان، نقله عبد الحليم النجار، تاريخ الأدب العربي، ط4، جزء 2، دار المعارف، كورنيش النيل-القاهرة، دت.

-محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.

-محمد خفاجي، الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2004م.

-محمد محمود الرافعي، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، مطبعة السعادة، مصر، ط3، 398هـ.

-محمود إسماعيل، المهمّشون في التاريخ الإسلامي، رؤية للنّشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2004م.

-هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب، رؤية للنّشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2015م.

فهرس الموضوعات

المحتويات الصفحة

مقدمة

الفصل الأول : فن المقامة: المفهوم و التاريخ.

المبحث الأول: تعريف المقامة و تاريخها---------- 5

1-مفهوم المقامة. ---------- 5

1-1-لغة. ---------- 5

1-2-اصطلاحا.---------- 6

2-ظهور المقامة في العصر العباسي. ---------- 8

3-المقامة في الآداب العالمية.---------- 12

4-نشأة المقامة عند بديع الزمان الهمذاني.---------- 13

4-1-ظهورها و تطورها.---------- 13

4-2-موضوعاتها.---------- 15

4-3-أغراض المقامة. ---------- 18

5-الطابع الساخر في المقامة.---------- 21

5-1-مفهوم السخرية لغة. ---------- 21

5-2-اصطلاحا.---------- 22

6-المقامة و نقد الحياة الاجتماعية في العصر العباسي.---------- 24

7-جدل الشعر و النثر في العصر العباسي.---------- 25

7-1-الشعر بوصفه مركزا.---------- 25

7-2-النثر بوصفه هامشا فنيا.---------- 26

المبحث الثاني: مفهوم الحكي و آلياته.

1-مفهوم الحكي.---------- 29

2- تعريف الصوت السردي.---------- 29

3-تعريف الرؤية السردية.---------- 30

المبحث الثالث: في مفهوم الهامش.

1-جدل المركز و الهامش.---------- 34

2-مفهوم الهامش. ---------- 35

2-1-لغة. ---------- 35

2-2-اصطلاحا.---------- 37

3-الهامش كمصطلح أدبي.---------- 37

4-الكتابة الهامشية قديما.---------- 38

5-أنواع الهامش.---------- 39

6-لغة الهامش و الكتابة الهامشية. ---------- 39

الفصل الثاني: موضوعات المقامة ذات الصلة بالهامش.

المبحث الأول: موضوعات المقامة.

1-الكدية و التسول في المقامة الجرجانية. ---------- 42

أ-تسميتها.---------- 42

ب-ملخص المقامة. ---------- 43

ج- الموضوع. ---------- 43

د-الشخصيات.---------- 45

هـ- المكان.---------- 46

و- الطابع الساخر في المقامة.---------- 46

1-1-العناصر الفنية للمقامة الجرجانية. ---------- 48

1-2-تجليات الهامش في المقامة.---------- 51

2-البخل و الكرم في المقامة الوصية.---------- 52

أ-تسميتها.---------- 52
ب-ملخص المقامة. ---------- 52
ج-الموضوع. ---------- 53
د-الشخصيات.---------- 54
ه-المكان. ---------- 55
و-الطابع الساخر.---------- 55
2-1- العناصر الفنية في المقامة. ---------- 56
2-2- تجليات الهامش في المقامة.---------- 57
3-الاحتيال في المقامة البغدادية. ---------- 59
أ-تسميتها.---------- 59
ب-ملخص المقامة. ---------- 59
3-2-تجليات الهامش في المقامة.---------- 60
أ-الموضوع.---------- 60
ب-الشخصيات. ---------- 61
ج- المكان.---------- 62
4-1-الفقر المدقع في المقامة الكوفية. ---------- 62
أ-تسميتها.---------- 62
ب-ملخص المقامة. ---------- 63
4-2-تجليات الهامش في المقامة الكوفية.---------- 63
أ-الموضوع.---------- 63
ب-الشخصيات. ---------- 64
5-موضوع مسكوت عنه.---------- 65
6-البعد الفني في المقامة البغدادية و الكوفية.---------- 66

المبحث الثاني:المقامة فن الهامش.

1-المقامة في حدّ ذاتها فن الهامش.---------- 71

2-المجتمع العباسي في مقامات الهمذاني---------- 73

خاتمة---------- 75

ملحق---------- 81

قائمة المصادر و المراجع. ---------- 97

فهرس الموضوعات .---------- 100